

لغز كلب البحر



محمود سالم

لغز كلب البحر

تأليف
محمود سالم



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبرُ الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٩٨ ٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة هنداوي.

يُمنعُ نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، ومن ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Copyright © 2021 Hindawi Foundation.

All rights reserved.

المحتويات

٧	ليس حلمًا
١٣	رسالة في الليل
١٩	كلمة السر
٢٥	حدث في منتصف الليل
٣١	على الأرض
٣٧	خطة جديدة
٤٣	البارونة «شيليا»
٤٩	فوق الأمواج
٥٣	المصيدة

ليس حلمًا

لم تكن «لوزة» تُصدِّق نفسها ... كانت تقول هامسة: إنني أحلم ... ليس كل هذا حقيقة ... إنه مجرد وهم!

ثم مالت «لوزة» على «نوسة» قائلة: «نوسة» ... اقرصيني من فضلك!
قالت «نوسة» مندهشة، وهي تنظر إلى البحر أمامها: أقرصك؟! لماذا؟!
لوزة: حتى أتأكّد أنني في علم ... ولست في حلم!
ابتسمت «نوسة» قائلة: أنتِ غير مُصدِّقة أننا مسافرون في رحلة إلى خارج مصر العزيزة ... أليس كذلك؟
لوزة: بالضبط.

نوسة: ولكننا مسافرون فعلاً ... هذا هو البحر ... هذه هي السفينة «سوريا» التي سنركبها ... هذا هو «تختخ» و«محب» و«عاطف»، والمفتش «سامي» يتحدث إليهم ... هذا هو أبي ... والداك والدا «تختخ»، وأمهاتنا أيضاً في وداعنا ... هل كل هذا حلم؟
لوزة: إن ما يجعله أشبه بالحلم أن هؤلاء الذين يُودِّعوننا قد عارضوا في سفرنا طويلاً ... حتى المفتش «سامي» عارض.

«نوسة» مبتسمة: ولكننا انتصرنا ... وها نحن أولاء في المحطة البحرية بالإسكندرية، وقد انتهت إجراءات السفر كلها ... وبعد دقائق ستتحرك السفينة، وتُفارق الرصيف، وتنطلق إلى عرض البحر ... وبعد يومين نكون في ميناء «بيريه» في اليونان ... وبعدها بثلاثة أيام نكون في «فينسيا» بإيطاليا.
لوزة: حلم ... حلم ... كل هذا حلم!

وبدأ صفُّ رُكَّاب السفينة «سوريا» يتحرَّك إلى داخلها ... كان على مدخل السفينة عند نهاية السلم عددٌ من الضبَّاط يقومون بتسلُّم جوازات السفر ... والركَّاب الذين صعدوا إلى سطح السفينة يقفون، وهم يُلوِّحون بمناديلهم للمودَّعين.

ووجدت «لوزة» نفسها بين ذراعي والدها يُقبِّلها ... ثم بين ذراعي أمها ... ثم وجدت نفسها تسير مع طابور الركَّاب، صاعدةً إلى سطح السفينة «سوريا» ... وبعد لحظاتٍ كانت على السفينة مع بقية المسافرين ...

وأخذت سلسلة «الهلب» الضخمة ترتفع من الماء مزمجرة، ثم أطلقت السفينة صُفَّارتها الطويلة الحزينة ... وبدأت تستدير، ويتجه مقدِّمها إلى البحر. وأخذت «لوزة» ترقب صفوف المودَّعين وهم يتضاءلون تدريجياً ... ويبتعدون حتى اختفوا تماماً، إلا الفستان الأزرق الذي كانت ترتديه والدتها ... كان يبدو من بعيدٍ وكأنه زهرة زرقاء على رصيف الميناء.

ورأت «لوزة» ميناء الإسكندرية لأول مرة من البحر ... الشاطئ الطويل الذي يُشبه القوس ... العمارات الشاهقة ... صواري السفن الواقفة بالميناء ... وأحسَّت كم هي جميلة ونظيفةٌ ورائعة مدينة الإسكندرية ... المدينة التي أحبَّتها دائماً من كل قلبها.

والتفتت «لوزة» إلى الأصدقاء ... ووجدتهم جميعاً ينظرون إليها ... لقد كانت أصغرهم ... ولكنها شجاعةٌ حتى تتحمَّس لهذه المغامرة ... مغامرة السفر إلى خارج مصر.

وتبادل الأصدقاء الخمسة النظرات ... ثم مدُّوا أيديهم وأخذوا يتصافحون ... لقد انتصروا ... واستطاعوا إقناع آبائهم وأمهاتهم بتلبية الدعوة التي وجَّهها لهم عم «تختخ» الذي يُقيم في مدينة «ميلانو» بإيطاليا.

أخذت السفينة تزيد من سرعتها تدريجياً ... وبدأت الإسكندرية تختفي شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت كخط أسود على صفحة المياه الزرقاء.

وتحدَّث «تختخ» لأول مرة قائلاً: تعالوا نبحث عن «القمرة» التي سننزل فيها.

محب: إنهما قُمرتان ... واحدة لـ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة»، وواحدة لك ولي. تختخ: تماماً.

لوزة: وما معنى قُمرة يا «تختخ»؟

تختخ: إنها غرفةٌ في السفينة ... ويقولون عنها بالإنجليزية «كابين».

وسأل الأصدقاء عن مكان القُمرتين ... ووجدوهما في الدور الثاني في الدرجة السياحية،

وكانتا رقمي «٤» و«٦» ... وأخذ الأصدقاء يفتحون حقائبهم، ويُرْتَبون ملابسهم، وقالت «نوسة»: إن هذه القُمرات ضيقةٌ ... ولكنها مريحة.

عاطف: سأترك لكما الفراشين، وسأنام على الأرض.
وكانت كل قُمرة بها سريران ... أحدهما يعلو الآخر ... وحوض ومائدة صغيرة وكُرسي واحد ... ونافذة مستديرة كانت تطلُّ على المياه مباشرة، حتى ظنَّت «لوزة» أنها لو مدَّت يدها لتحسَّست المياه فورًا.

وانتهوا جميعًا من ترتيب أشياءهم، وقال «تختخ» وهو ينظر في ساعته: الساعة الآن السادسة والنصف ... وبعد قليل ستغرب الشمس ... تعالوا نشاهد غروبها فهو مشهدٌ طبيعيٌّ أخاذٌ ...

وأسرعوا يصعدون السلمَ الحلزوني المزدحم، وكان بعض الركَّاب يجلسون في طرقات السفينة على السطح، فسألت «لوزة»: لماذا يجلسون هكذا يا «تختخ»؟
فردَّ «تختخ» قائلاً: هؤلاء هم رُكَّاب السطح ... فالسفينة تنقسم إلى ثلاث درجات؛ درجة أولى ... ودرجة ثانية أو سياحية، وركَّاب السطح، وهم الذين ينامون على السطح، وليس لهم قُمرات ... وهم يدفعون بالطبع مبلغًا أقلَّ من رُكَّاب الدرجة الأولى والسياحية. وقد فكَّرْتُ أن نكون من بين رُكَّاب السطح، لولا أن خفت عليكم من البرد ليلاً.

لوزة: هل ينامون على السطح أيضًا؟
تختخ: طبعًا ... وكلُّ منهم يأتي معه عادةً ببطانية ... وأحيانًا يستطيع الحصول على كرسي طويل (شيزلونج) يتمدّد عليه.

وصعد الأصدقاء إلى فوق ... وكان هناك عددٌ كبير من الركَّاب قد وقفوا على جانب السفينة، ينظرون إلى الأفق البعيد ... وقد بدت الشمس في جانب السماء تهوي بسرعة ككرة كبيرة من النار ... تنطفئ في البحر.

كانت الإسكندرية قد غابت تمامًا خلف الأفق ... وأمست السفينة تشقُّ طريقها في مياه تُحيط بها من كل جانب ... وبدأ ل «نوسة» التي تُحب التأمل والتفكير أنهم في عالمٍ خياليٍّ مصبوغ باللون الأزرق.

قال «عاطف» وهو يركز بذراعه على حاجز السفينة، مُحدِّقًا في البحر: هذه أول إجازة صيف نقضيها بلا مغامراتٍ ولا ألغاز ... إننا نرتاح فقط ... ونرجو أن نقضي وقتًا طويلاً في «فينيسيا» و«ميلانو».

محب: إن إجازتنا خمسة عشر يومًا ... وكم أتمنَّى أن نستطيع إطالتها فترةً أخرى!
قالت «لوزة»: ولكن كيف تهدي السفينة إلى طريقها، وليس هناك بر ولا شيء يدلها؟

محب: هناك أولاً البوصلة، وهي تُحدّد الجهات الأصلية الأربعة ... الشمال والجنوب والشرق والغرب ... وهناك خرائط ملاحية عند رُبّان السفينة تُحدّد مسار السفينة كما تُحدّد القضبان للقطار طريقه.

لوزة: ولكن هذه اختراعات حديثة، فكيف كان الملاحون قديماً يعرفون طريقهم؟
محب: بواسطة النجوم ...

كان «تختخ» يقف وحده سارحاً يتأمل البحر ... وينظر إلى الرّكّاب في تأمل، وفي ذهنه ما قاله له المفتش «سامي» ... لقد أخطره المفتش قبل أن يُغادر الميناء بقصةٍ عجيبة ... مثيرة ... وترك له حرية إخطار الأصدقاء بها أو إخفائها عنهم، حتى لا تتبدّد إجازتهم ... والتفت «تختخ» إلى الأصدقاء ... كانوا جميعاً ينظرون إلى البحر في ابتهاج ... إنها أول مرة يُغادرون فيها الوطن ... وهو باعتباره أكبرهم كان يُحسُّ بالمسئولية ... يجب أن يعودوا سالمين إلى الوطن بعد انتهاء الرحلة.

وأخذ «تختخ» ينظر إلى الرّكّاب ... كانوا يُكوّنون حلقات يتحدّثون ... إنهم خليطٌ عجيبٌ من مختلف الأجناس والجنسيات ... إنجليز ... وأمريكان ... وإيطاليون ويونانيون وأفريقيون وغيرهم ... وكان بينهم عددٌ كبيرٌ من المصريين أيضاً ...

وحول حوض السباحة في السطح الخلفي للسفينة كان عدد من الرّكّاب يلبسون ثياباً خفيفة ... ويتحدّثون بمرح ... وفي الطابق الأول حيث رّكّاب الدرجة الأولى، كان هناك «كازينو» مكشوف تصدح فيه الموسيقى ... وكان «تختخ» يفحص وجوه الرّكّاب جميعاً، وفي ذهنه سؤال هام ... هام جداً ... من هو بين كل هؤلاء؟
هو؟

هو الذي تحدّث عنه المفتش «سامي» ... وطلب منه أن يأخذ باله منه جيداً ... فهذا الآخر سوف يتصل به في وقت ما ... ليلاً أو نهاراً ... وسيقول له كلمة السر ... كلمة السر التي يجب أن يُخفيها عن كل الناس ... وعندما يقول له كلمة السر فعليه أن يتعاون معه ... فهناك مغامرةٌ كبرى على ظهر السفينة! وقطّع على «تختخ» حبل تفكيره صوت «نوسة» وهي تسأله: ما لك تبدو مشغولاً يا «تختخ»؟ إنك لم تنطق بكلمةٍ واحدةٍ منذ ركبنا السفينة!

ردّ «تختخ» مسرعاً وهو يُحاول إخفاء ارتباكهِ: إنني ... إنني أتأمل الغروب ... إنه لوحةٌ من عمل الفنّان الأعظم ... الله ... لوحة لا تستطيع يد إنسان أن تُقلّدها.

قال «عاطف» مبتسماً: الله! ... ما هذا الشعر؟ ... إنك شاعر، وإن كنت «أتخن» الشعراء.

قالت «لوزة»: إنه منظرٌ طبيعيٌّ رائعٌ فعلاً ... فليس هناك إلا الأفق ... والشمس الغاربة ... والبحر ...

محب: دعونا من هذا كله ... وتعالوا نعرف مواعيد الطعام ... فإنني جائعٌ حقاً.
تختخ: سوف يمر أحدُ عمّال السفينة يدق صينيةً من النحاس، معلناً موعد الطعام قبله بدقائق ... وعلى كل حالٍ فإن الإفطار كما علمتُ في الثامنة ... والغداء في الثانية، والعشاء في السابعة.

محب: ومن السابعة حتى موعد النوم ... أليس هناك طعام؟
تختخ: لا طبعاً ... هذه هي الوجبات الثلاث التي تُقدّمها السفينة مجاناً مقابل التذكرة ... فإذا أردتَ طعاماً آخر فعندك «البوفيه»، وعليك أن تدفع الثمن.

وفي هذه اللحظة مرَّ بهما شخصٌ ضخم، اضطرتّه حركة السفينة أن يميل، فيدوس على قدم «تختخ»، فصاح هذا متوجّعاً، فأخذ الرجل يربت على كتفه معتذراً قائلاً في لغةٍ عربيةٍ ركيكة: آسف ... إنني آسف ... لم أكصد!

ونظر إلى «تختخ» طويلاً ... ونظر إليه «تختخ»، وتذكّر الرجل الذي وصفه له المفتش ... إنه ضخمٌ أيضاً ... ويتحدّث العربية بلكنة أجنبية ... فهل هذا هو؟ وهل يقول له كلمة السر؟ ... ولكن الرجل مضى دون أن يقول شيئاً سوى الاعتذار ... وأخذ «تختخ» يدلك قدمه الوجعة، ثم سمعوا الدق على الصينية النحاسية ... لقد جاء وقت العشاء ... وانطلقوا جميعاً مع بقية الركّاب إلى قاعة الطعام الواسعة ... وسرعان ما كانوا يتناولون أول وجبة لهم على ظهر السفينة ... وقد ارتفعت أصوات الملاحق والسكاكين والأطباق، وكثرت حركة الطباخين والسفرجية ...

رسالة في الليل

صعد الأصدقاء إلى السطح بعد الانتهاء من العشاء. كان البحر ساكنًا، والسفينة تمضي، وصوت آلاتها يهدر في الصمت ... والهواء رقيق بارد ... وموسيقى خفيفة تأتي من السطح العلوي ... وقمرٌ صغير يُضيء المياه، وتمتدُّ أشعته إلى السفينة على سطح البحر، وكأنه مربوط إليها بخيوطٍ من الفضة.

قال «تختخ»: إنه شيء يُشبه الحلم فعلاً ... قمر وبحر ونجوم ... ورحلة في الليل إلى أوروبا ...

نوسة: شيء رائع حقًا ... سنرتاح تمامًا ... نستريح من الألغاز أيضًا.

تختخ: وما يدريك؟

نوسة: أتقصد أننا قد نعثر على لغز؟

تختخ: ممكن طبعًا ... ممكن جدًا.

لوزة: إن ذلك ليكون في منتهى الإثارة ... رحلة ولغز معًا!

عاطف: ألا تكفيك الألغاز الماضية؟! ألا تشبعين؟!

لوزة: إنه لشيءٌ مثيرٌ أن تعثر على سرٍّ ... ثم تُحاول حلّه، وتستطيع أن تصل إلى الحقيقة.

محب: إن الوصول إلى الحقيقة هو هدف كل الناس.

وصمتوا واستسلموا إلى الموسيقى ... وعاد «تختخ» يُفكّر في حديث المفتش «سامي»، وهو يقول له: سيتصل بك إنسانٌ ما ... لا أعرف شكله بالضبط، ولكنه شابٌ إيطاليٌّ يتحدث العربية ... طويل القامة ... سيقول لك كلمة السر ... فساعدّه؛ فهو في مهمّة خطيرة ...

وأخذ «تختخ» يقول لنفسه: أأقول للأصدقاء الآن ... أم أنتظر حتى يتصل بي الرجل؟ ... وهل يتصل؟ ومتى؟

وفُضِّل الانتظار حتى لا يشغلهم بشيء قد لا يحدث ... وقالت «نوسة»: تعالوا نجلس فقد تعبنا من الوقوف.

وبحثوا عن مكان قريب ... وكان هناك عدد من الشبان يرقصون على الموسيقى، وقد ارتفع ضجيجهم ... وسيدة عجوز تجلس وحدها، وقد وضعت على ركبتيها بطانية تنقي بها برد الليل ... كانت تنظر إلى حلقة الرقص في ضيق.

قال «تختخ» في نفسه: لعل الرجل لا يريد أن يتحدث إليّ في وجود الأصدقاء ... ولعله يُراقبني الآن، وينتظر أن أكون وحيداً فيكلمني ... والتفت إلى الأصدقاء قائلاً: سأذهب في جولة في أرجاء السفينة، وسأعود إليكم بعد قليل.

وانطلق وحيداً على السطح، حتى وصل إلى مقدمة السفينة حيث رُصّت كميات ضخمة من البضائع. أخذ يسير بينها محاذراً، حتى وصل إلى آخر السفينة، ووقف قليلاً، ثم استدار، ومضى على الجانب الأيسر ... ووجد سلماً ينزل إلى قلب السفينة فنزل، وأحس بالحر في داخل السفينة، وشم رائحة الطعام، وقابل سلماً آخر فنزل دون أن يدري إلى أين ... ووجد نفسه قرب قاع السفينة حيث ينام البحارة والمهندسون وغيرهم من العاملين في تسيير السفينة ... وارتفع دوي الآلات ... وتذكر جزءاً آخر من حديث المفتش «سامي»: لقد أرسلت إلى الرجل الإيطالي — وهو مُفتش بالشرطة الإيطالية — ورقة بها أوصافك ... وقلت له إنه يمكن أن يعتمد عليك ... إن الإيطالي اسمه «باولو» ... لا تنس هذا الاسم، «باولو» ... وكلمة السر هي «كلب البحر»!

«كلب البحر» ... هذه هي كلمة السر ... وهي في الوقت نفسه اسم أطلقه رجال الشرطة في العالم كله على مُهرّب خطير ... مُهرّب عجيب لا يعمل إلا في البحر ... وله عصابة قوية تُساعده ... لا أحد يعرف شكله ولا اسمه الحقيقي ... ولهذا أطلقوا عليه اسم «كلب البحر» ... ربما لأن كلب البحر سريع في السباحة ... وهذا المُهرّب سريع في الهرب ... وقد وصل إلى البوليس الإيطالي خبرٌ يقول إن «كلب البحر» سركب السفينة «سوريا» من الإسكندرية، وأرسل المفتش «باولو» لمراقبته، ولكنهم لا يعرفون اسمه ولا شكله ... إنه واحد من ٢٠٠ راكب تحملهم السفينة ... فمن هو؟ إن مهمة «باولو» معرفة شخصية «كلب البحر» ... ولهذا فإن «باولو» متخف هو الآخر ... و«تختخ» لا يعرف «باولو»، ولا يعرف «كلب البحر» ... كل ما عليه أن ينتظر حتى يتصل به «باولو» ويقول له كلمة السر ... ثم يبدأ في العمل معاً.

قال له المفتش «سامي» أيضًا: إن «كلب البحر» مهربٌ خطير ... وعصابته قوية ... وأنت حرٌّ في أن تتدخل أو لا تتدخل ... وأنت حرٌّ أيضًا في إشراك بقية المغامرين في هذه المغامرة الخطرة ... إنني أثق فيك وفي حسن تقديرك ... وقطع حبلَ أفكاره ظهورُ أحد مهندسي الباخرة وهو يمسح يديه في قطعة من القطن، ونظر الرجل إلى «تختخ» وبادره بالسؤال: ماذا تفعل هنا أيها الأخ؟! تختخ: إنني أتجول ... المهندس: هذا ممنوع تمامًا ... ممنوع أن ينزل الركَّاب إلى عنابر البحَّارة أو قريبًا من الآلات.

تختخ: آسف ... الحقيقة أنني ضللت طريقي ... ووجدت سُلماً فنزلت. المهندس: تعالَ معي. ومشى المهندس أمامه ... وصعد سُلماً، ثم آخر ... ووجد «تختخ» نفسه مرةً أخرى على ظهر الباخرة ... ومضى ينظر في وجه كل من يُقابلة ... لا بد أن أحدهم هو «باولو» ... والآخر «كلب البحر» ... ولكن من فيهم؟ هذه هي المشكلة! ووصل إلى حيث كان الأصدقاء ... وكان «عاطف» المرح قد اشترك في حلقة الرقص ... كان يرقص برشاقة مع فتاةٍ في مثل سنه ... وبقية الأصدقاء يقفون حول الراقصين بيتسمون.

وقال «تختخ» في نفسه: إنهم سعداء ... فلا داعي لأن أشغلهم بـ «باولو» أو «كلب البحر» ... فإذا وجدتُ أنني أستطيع أن أتصرَّف وحدي فلن أقول لهم شيئاً. واقتربت الساعة من التاسعة والنصف ... وانتهى «عاطف» من رقصته، وأخذوا جميعاً يتبادلون النكات والضحكات، ثم نزلوا إلى الدور الأول حيث توجد قُمرات النوم ... وكانت الممرَّات حافلةً بالركَّاب ... كلهم متجهون إلى أماكنهم ... ودخل «تختخ» و«محب» قُمرتهما ... ودخلت «نوسة» و«لوزة» و«عاطف» القُمرة الثانية، وتمنَّوا جميعاً بعضهم لبعضِ نومًا هادئًا، ثم أغلقت الأبواب.

قال «محب»: هل تنام في السرير العلوي؟ تختخ: أفضل أن أنام في السرير الأسفل ... فقد أحتاج إلى الخروج مرةً أخرى، فلا داعي لإزعاجك. محب: لماذا تخرج؟

تختخ: إنني أحب التجوّل ليلاً كما تعرف.
محب: لقد لاحظت أنك مشغول البال قليلاً ... أليس كذلك؟
تختخ: فعلاً ...
محب: لماذا؟

تختخ: لا داعي لأن أقول لك الآن ... فقد يتّضح في النهاية أنني مشغول البال بلا شيء.
وخلع الصديقان ملابسهما، ولبس كلُّ منهما ثياب النوم ... وصعد «محب» إلى السرير العلوي، واستلقى «تختخ» على فراشه، وأضاء «الأباجورة» الصغيرة المثبتة بجوار الفراش ... وأمسك بكتاب يُعلّم اللغة الإيطالية. ومضت دقائق، ثم سمع صوت تنفّس «محب» المنتظم، وأدرك أنه استغرق في النوم.

شيئاً فشيئاً بدأت الأصوات في السفينة تتلاشى، ولم يُعد هناك سوى صوت المحرّكات الضخمة ... وصوت ارتطام المياه بالسفينة، وهي تشق طريقها. ولا يدري «تختخ» كم مضى من الوقت وهو يقرأ ... ثم سمع صوت أقدامٍ حذرةٍ تسير أمام قُمرته، ثم تتوقّف أمامها بالضبط ... وتنبّهت أعصاب «تختخ» فوراً ... وسمع صوت نقرات خفيفة على الباب، فأسرع يقوم من مكانه ... ثم فتح الباب، ولكنه لم يجد أحداً ... ونظر في الممر الطويل، ولكنه كان خالياً ... ولم يكن هناك سوى المصابيح المضاءة تتأرجح بخفة مع حركات السفينة ...

ماذا جرى؟ ولماذا هذه الطرقات؟

هكذا حدّث «تختخ» نفسه ... ثم استنتج فوراً أنها رسالةٌ إليه ... ونظر تحت قدميه، فإذا على الأرض ورقة صغيرة مطبقة بعناية، فانحنى والتقطها، ثم أغلق الباب، وعلى ضوء «الأباجورة» فتحها ونظر فيها ... كانت مكتوبةً باللغة العربية بخطّ رديء ... ولكنه استطاع أن يقرأ ما بها:

سأنتظرك بعد ١٥ دقيقةً عند مقدمة السفينة.

باولو

ودقّ قلب «تختخ» دقاً سريعاً ... لقد تمّ الاتصال بسرعة ... وفي أول ليلة! ولكن المفتش حذّره ... المهم هو كلمة السر ... فلماذا لم يكتبها «باولو»؟ لعله خشي ألا يتسلّم «تختخ» الرسالة ...

كان هذا هو الاستنتاج الوحيد ... وأسرع «تختخ» ينظر إلى الساعة ... كانت الحادية عشرة ... وارتدى ثيابه في هدوء، حتى لا يُزعج «محب»، وانتظر حتى مضت عشر دقائق، ثم فتح الباب بهدوء، وانسلَّ خارجًا. وأخذ طريقه عبر الممرات المضاءة متجهاً إلى مقدمة السفينة ... وصعد السلم المؤدي إلى السطح، وأحسَّ بهواء البحر البارد يتسلَّل إليه فارتعد ... ولكنه مضى على ممر السفينة الأيمن متجهاً إلى مقدمة السفينة التي كانت غارقة في الظلام.

كلمة السر

كانت الريح تهبُّ من مقدمة السفينة باردة ... ورذاذ الماء يصل إلى السطح، يتناثر على وجه «تختخ» الذي وقف يُحدِّق في الظلام، بين صناديق البضائع الضخمة، باحثاً عن «باولو» ... لكنه لم يرَ أثراً لأحد، فتقدَّم خطوات ... وفجأةً سمع من بين الصناديق صوتاً عميقاً يقول: «توفيق»؟

التفت «تختخ» إلى مصدر الصوت الذي كان يأتي من بين صندوقين كبيرين، وبدأ يتحرَّك في اتجاهه.

ولكن صاحب الصوت عاد يقول: لا تتقدَّم أكثر من هذا.

قال «تختخ»: من أنت؟

ردَّ الصوت: أنا «باولو» ...

وتذكَّر «تختخ» تعليمات المفتش «سامي» ... المهم هو كلمة السر، فقال: إنني لا أعرف أحداً بهذا الاسم.

قال صاحب الصوت: إنني مفتش البوليس «باولو».

تختخ: وماذا تريد مني؟

صاحب الصوت: أريد أن أقول لك كلمة السر ... «كلب البحر». وابتسم «تختخ» ...

إنه «باولو» فعلاً؛ فلا أحد يعرف كلمة السر إلا هو والمفتش «سامي» و«باولو».

قال «تختخ»: لقد أخبرني المفتش «سامي» أنك تريد معاونتي.

باولو: هذا صحيح.

تختخ: إننا، أنا وأصدقائي، على استعدادٍ لمعاونتك في القبض على «كلب البحر».

باولو: هل عندك معلومات عنه؟

تختخ: معلومات قليلة جدًا ... أعرف أنه إيطالي الأصل ... وأنه يستخدم أسماء كثيرة ... وعصابته قوية ... وأنه ضخيم طويل القامة.

باولو: فقط؟!

تختخ: نعم.

باولو: سوف أعطيك بعض الأوصاف الأخرى له حتى تتمكن من البحث عنه.

تختخ: ألم تتعرف عليه بعد؟

باولو: لا ... إنني ما زلت أبحث؛ فهو رجلٌ شديد الدهاء، لا أحد يعرف شكله إلا عدد قليل من أعوانه.

تختخ: لماذا تتحدث معي في الظلام؟ ... لماذا لا تظهر؟

باولو: لا تسأل عن هذا الآن ... فليس هذا مهمًا لك.

تختخ: وكيف أتصل بك؟

باولو: سأجد الطريقة المناسبة للاتصال بك عندما أريد.

تختخ: ومتى تصلني المعلومات؟

باولو: في الوقت المناسب.

وساد الصمت إلا من صوت الريح ... وسمع «تختخ» حركة أقدام في الظلام، فقال:

«باولو» ...

ولكن أحدًا لم يرد.

وعاد يقول: «باولو» ... هل أنت موجود؟

ولكنه لم يسمع شيئًا سوى صوت الريح ... وكان واضحًا أن «باولو» قد انصرف ... فتلمّس «تختخ» طريقه في الظلام عائداً إلى سطح السفينة، ثم نزل السلم إلى قمرته، وقد استغرق في التفكير ... وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وهو ما زال ساهراً في فراشه يفكر في هذه المغامرة العجيبة ... ويتساءل: أيقول للأصدقاء، أم يخفي عنهم هذه القصة المثيرة؟! وظلّت الأفكار والخواطر تدور برأسه حتى استسلم للنوم.

في صباح اليوم التالي اجتمع الأصدقاء بعد الفطور على ظهر الباخرة ... كان الجو حارًا والرياح ساكنة ... فلم يتردّد «محب» و«عاطف» في ارتداء المايوهات، والقفز إلى حمّام السباحة مع عدد كبير من الركّاب ... وجلس «تختخ» و«نوسة» على كرسيّين بجوار الحمّام يشربان الكوكاكولا ... كان «تختخ» يلبس نظارة شمس سوداء ... ومن خلفها كان ينظر

إلى كل راكب نظراتٍ متأنية ... محاولاً أن يبحث عن «كلب البحر»، وعن «باولو» أيضاً ... وفي طرف السفينة كان رجلان يجلسان معاً يتحدثان ويدُخنان ... دون أن يلتفتا إلى بقية الركّاب ... وقام «تختخ» واتجه ناحيتهما متظاهراً أنه يتمشّي ... وأخذ يقترب أكثر فأكثر محاولاً التسمّع إليهما ... وفي تلك اللحظة أقبل «محب» و«عاطف» في ملابس البحر، وهما يُقَطّران ماءً، وأخذا يجذبان «تختخ» ناحية الحَمّام ... وصاح «محب»: تعالِ انزل معنا. تختخ: اتركني يا «محب» ... ليست لي رغبة.

محب: إن الماء ممتع ... وسنلعب كرة ماء مع أربعة آخرين من الركّاب. ولم يتركه الصديقان حتى غيّر ملابسه، وقفز إلى حَمّام السباحة ... وبدأت المباراة ... أربعة من الأولاد ضد «تختخ» و«عاطف» و«محب» و«لوزة» ... وسرعان ما تجمّع الركّاب حول الحَمّام يُشجّعون الفريقين بحماسة ... وبخاصة «لوزة» التي كانت تُجيد السباحة ... وكانت تقف في مركز حارس المرمى ... وأخذت الأهداف تتوالى ... هنا هدف ... وهناك هدف ... والصياح يرتفع بكل اللغات لتشجيع اللعب ... وشاهد الحاضرون وسط هذه الحماسة كلها عربة رجلٍ مشلول تتقدّم ... وأوسع له المتفرّجون مكاناً ليتفرّج ... وكان واضحاً أن نصفه الأسفل مشلول تماماً، وإن كانت يداه تتحرّكان في حماسة وهو يُتابع اللعب.

وحمي وطيس اللعب أكثر ... وأخذ «تختخ» يرمق الرجل «المشلول» بعطف، وكان قد علم من قبل أن نصفه الأسفل مشلول تماماً، وفجأة شاهد ما لم يره أحدٌ غيره ... لقد كانت أصابع قدمي الرجل تتحرّك ... ودُهِش «تختخ» تماماً ... فليس من الممكن أن تتحرّك أصابع رجلٍ مشلول!

وأنساه هذا الخاطر اللعب لحظة؛ فاستطاع الفريق الآخر أن يُسجّل هدفاً ... لكن «تختخ» استطاع تعويض الهدف سريعاً، وإن ظلّ مشغول البال بما شاهده. وانتهت المباراة بفوز الأصدقاء بفارق أربعة أهداف ... وصقّق لهم المتفرّجون طويلاً، وهم يخرجون من الماء ... وأسرع الأصدقاء إلى قُمراتهم حيث استحمّوا وغَيّروا ملابسهم، ثم عادوا إلى السطح ... ووقف «تختخ» يُراقب الرجل «المشلول» باهتمام ... كان الرجل يجلس على كرسيه المتحرّك مولياً ظهره إلى الركّاب، ناظراً إلى البحر، وقد وقف بجواره رجل آخر يتحدث إليه.

وظلّ «تختخ» يُفكّر ... شيءٌ مدهش أن يتمكّن مشلول من تحريك أصابع قدميه ... فالشلل معناه توقّف الأعصاب عن العمل ... وعدم القدرة على تحريك العضو المصاب

... فكيف استطاع «المشلول» أن يُحرِّك أصابعه؟! وتمنَّى «تختخ» أن يعرف أين «باولو» ليقول له هذه الملاحظة الهامة. وبينما «تختخ» مستغرق في خواطره حان موعد الغداء ... وأسرع الأصدقاء الذين اشتدَّ بهم الجوع إلى قاعة الطعام ... وكذلك أسرع بقية الرُّكَّاب، وأصبح السطح خالياً إلا من «المشلول» والرجل الذي معه ... ثم بدأ الكرسي يتحرَّك حاملاً صاحبه. ولم يجد «تختخ» فائدةً من متابعته، وبخاصة أنه كان في غاية الجوع بعد المباراة الحامية.

ذهب «تختخ» إلى قاعة الطعام المزدحمة ... ولم يستطع الانضمام إلى الأصدقاء الذين جلسوا في الصف كالمعتاد، كلُّ بحسب وقت دخوله، وهكذا جلس قرب الباب وحده. وجاء السفرجي فوضع الأطباق الفارغة ... ثم جاء آخر يحمل الطعام ... ورفع «تختخ» أحد الطبقين، وكم كانت دهشته عندما وجد ورقةً صغيرةً مطبقة! فرفعها مسرعاً قبل أن يراها أحد، ووضعها في جيب قميصه، وقد أدرك أنها من «باولو».

لكن كيف وضع «باولو» الورقة في مكانها بين الطبقين؟ هل يعمل في المطعم؟ أو أن له أعواناً فيه؟ لقد أخبره المفتش «سامي» أن «باولو» يعمل وحده على ظهر السفينة ... فهل كانت معلوماته غير دقيقة؟!

وظلَّ «تختخ» يُراقب السفرجية، محاولاً تذكُّر الرجل الذي وضع له الأطباق حتى يُقارنه بالأوصاف القليلة التي يعرفها عن «باولو»، ولكنه لم يتمكن.

والتهم طعامه مسرعاً؛ فقد كان يُريد أن يعرف ماذا في الورقة ... وغادر قاعة المطعم إلى قُمرته، وبعد أن أغلق الباب على نفسه، فتح الورقة وقرأ ما بها ... كانت بضع كلمات قليلة بالخط الرديء نفسه:

منتصف الليل في المكان نفسه.

باولو

واستلقى «تختخ» على فراشه يُفكِّر ... ودخل «محب» قائلاً: إننا لم نرك في قاعة الطعام ... ماذا حدث؟!

ردَّ «تختخ» شارداً: لا شيء ... لقد تأخَّرتُ في الدخول ... ثم جلستُ بجوار الباب، وتناولتُ طعامي مسرعاً، وعدتُ إلى هنا لأنني أحسُّ برغبةٍ قوية في النوم ... فإني متعب.

وأغمض «تختخ» عينيه، وسرعان ما استغرق في النوم فعلاً ... وقد نسي الورقة التي كان ممسكاً بها ... فوقعت منه ... ولاحظ «محب» — الذي كان يجلس بجوار الفراش يقرأ — لاحظ الورقة وهي تقع من يد «تختخ»، فالتقطها وقرأ ما فيها:

منتصف الليل في المكان نفسه.

باولو

دُهِش «محب» لما في الورقة، وأخذ يُفكّر في معناها ... وفي اسم «باولو»، وقال «محب» في نفسه: إن المكان نفسه تعني أن «تختخ» سبق أن ذهب إلى هذا المكان من قبل ... فأين هذا المكان؟ ولماذا منتصف الليل؟ ومن «باولو»؟ ولماذا يُخفي «تختخ» أي شيء يفعله عن الأصدقاء؟ وهل يقول له إنه وجد الورقة أو يسكت؟ وهل يقول لبقية الأصدقاء؟ وتذكّر «محب» أن «تختخ» كان مشغول البال منذ ركبوا السفينة ... فلماذا؟ وما السر الذي يُخفيه؟

أسئلة كثيرة كانت تدور بذهن «محب»، وهو جالس ينظر إلى صديقه النائم ... ثم قرّر في النهاية أن يترك الورقة مكانها وينتظر ما يحدث.

وغادر «محب» القمرة، وأغلق بابها وراءه، ثم صعد إلى السطح حيث كان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» يقفون مع بعض الأصدقاء الذين لعبوا معهم المباراة يتحدثون. وعندما استيقظ «تختخ» نظر إلى ساعته ... كانت قد أشرفت على الرابعة بعد الظهر، وأحسّ بنشاط كبير، ثم تذكّر الورقة، فبحث عنها، ووجدها قد وقعت منه بجوار الفراش ... فحمد الله أنه وجدها قبل أن تقع في يد أحد ... وطبّقها بعناية، ثم وضعها في جيبه وخرج حيث لحق بالأصدقاء على السطح.

حدث في منتصف الليل

بعد ساعة من العشاء أوى الأصدقاء كلٌّ إلى فراشه ... واستلقى «تختخ» في الظلام متظاهراً بالنوم ... ولكنه لم يكن نائماً ... وكذلك «محب» لم يكن نائماً ... كانت الرسالة التي سقطت من «تختخ» وقرأها تشغل باله ... وكان أكثر ما شغل باله أن يتعرّض «تختخ» للخطر بدون أن يعرفوا ... وأن يحدث له شيءٌ بدون أن يتمكنوا من إنقاذه.

ومضت الساعات ... وأشرفت الساعة على منتصف الليل ... وجلس «تختخ» في فراشه لحظات، ثم قام ففتح الباب وخرج ... وكان «محب» مستعداً لهذه اللحظة، فانتظر لحظات، ثم قفز هو الآخر من فراشه، وأسرع خلف «تختخ» ... وعندما فتح الباب رآه يسير في نهاية الدهليز المضاء ... فأسرع خلفه، وهو يمشي على أطراف أصابعه.

وصعد «تختخ» إلى السطح، فصعد خلفه، ثم سار إلى مقدمة السفينة و«محب» يتبعه عن بُعد.

كانت مقدمة السفينة غارقةً في الظلام، وتقدّم «تختخ» إلى حيث وقف في الليلة الماضية ... وكان «محب» يقترب هو الآخر، وهو يزحف على يديه وركبتيه حتى لا يراه أحد ... ووقف على مقربة يستمع. وكانت الريح تهبُّ من مقدمة السفينة إلى مؤخرتها، فاستطاع أن يستمع إلى أكثر الحوار الدائر.

سمع «تختخ» صوت «باولو» في الظلام يتحدث إليه ... قال «باولو»: هل اشتبهت في أحدٍ من ركبّ السفينة؟

تختخ: لست متأكّداً ... ولكن يبدو لي أنني أمسكتُ بطرف الخيط.

باولو: ماذا تقصد بالضبط؟

تختخ: لقد اشتبهتُ في شخص مشلول.

ساد الصمت لحظات، ثم قال «باولو»: مشلول؟!

تختخ: نعم ... إنه رجل مشلول يجلس على كرسي متحرك ... كان يتفرّج اليوم على مباراة كرة الماء التي كنتُ أُلعب فيها ... وقد لاحظتُ في أثناء المباراة أن أصابع قدميه تتحرك، وهو شيءٌ مستحيل بالنسبة لرجل نصفه الأسفل مشلول!

باولو: هذه ملاحظةٌ ذكية ... وأنا أراقب هذا الرجل أيضًا ... ولكنه ليس «كلب البحر» بالتأكيد ... فكلب البحر كما تعرف ضخم الجسم ... وهذا الرجل قصير القامة. تختخ: لعله أحد أفراد العصاة.

باولو: هذا ممكن ... على كل حال سوف أهتمُّ أنا بهذا الرجل ... وعليك مراقبة راكب القُمرَة رقم «٣» في الدرجة الأولى، واسمه «مارسيل» ... إنه يُشبه «كلب البحر» إلى حدٍّ بعيد ... وتصرفاته مريبة جدًا. تختخ: سأحاول.

باولو: وسأتصل بك الليلة القادمة بطريقةٍ ما. تختخ: هل لك أعوان على ظهر السفينة؟

باولو: لا داعي للأسئلة الآن ... سوف تعرف كل شيء عندما تصل إلى «فينسيا»؛ فإن الموقف خطير، وإذا عرف «كلب البحر» شخصيتي أو شخصيتك أو أننا نتبعه؛ فسوف يقضي علينا بلا تردد.

كان «محب» يستمع إلى الحوار بقلب مرتجف ... ولم يكذب يسمع الكلمات الأخيرة حتى أدرك أن الحديث قد انتهى، وأن «تختخ» سوف يتحرك ويتحرك الرجل الذي يتحدث معه، وقد يلتقيان به ... فأسرع بالانصراف ... ولكنه أحسَّ بخطواتٍ واسعةٍ تقترب منه ... فانتهاز فرصة الظلام، وانحرف واختفى خلف لفّةٍ من الحبال ... وشاهد رجلًا طويل القامة يعبر أمامه ... ثم ينزل السلمَ مسرعًا، واستطاع أن يلمح على ضوء السلمِ قمة رأسه، فرأى شعره الذي انتشرت فيه بعض شعيرات بيضاء.

ظلَّ «محب» في مكانه لحظاتٍ حتى تأكد من غياب الرجل في جوف السفينة ... ثم نزل السلمَ بهدوء حتى وصل إلى القُمرَة وفتح الباب ... ووجد نفسه وجهًا لوجهٍ مع «تختخ». نظر «تختخ» إلى «محب» في اندهاشٍ شديد، ثم سأله: أين كنت؟ ... فكَّر «محب» لحظات، ثم لم يجد فائدةً من الإنكار، فقال: كنتُ في مقدمة السفينة أستمع إلى الحوار بينك وبين الرجل.

تختخ: «باولو»؟!

محب: لا أعرف «باولو» ولا غيره ... لقد سمعتُك تتحدّث مع رجل ما ... ثم انصرفت قبل أن تفرغا من حديثكما تمامًا ... واضطُرتت إلى الاختفاء حتى عبر الرجل؛ ولهذا تأخّرت.

تختخ: وهل رأيته؟

محب: لا، لم أر سوى شبّحه، وهو طويل القامة، ثم رأيت قمة رأسه في ضوء السّلم.

تختخ: وهل سمعت كل الحوار؟

محب: أكثره كما قلّت لك ... وأنا آسف إذ تلصّصت عليكما.

تختخ: لكن كيف وصلت إلى هناك؟

محب: لقد قرأت الرسالة التي كانت في يدك اليوم عصرًا؛ فقد سقطت من يدك عندما نمت ... ولم أستطع مقاومة إغراء قراءتها.

تختخ: وماذا استنتجت؟

محب: لا شيء تقريبًا ... سوى أنك متصل بشخص ما ... أو بمغامرة ما، وأنت تخفي عن الأصدقاء هذه الحقيقة.

تختخ: اعذرني يا «محب» ... إنني خائف عليكم جدًّا.

محب: وهل تخاف أنت علينا، ولا نخاف نحن عليك؟! لقد تعاهدنا منذ أول مغامرة ألاّ يُخفي أحدٌ منّا شيئًا عن الآخرين ... ولكن ها أنت ذا تتصرّف وحدك ... وإذا وقع لك حادثٌ فلن نعرف عنك شيئًا.

أطرق «تختخ» بوجهه إلى الأرض، وقد أحسّ بالخجل والاضطراب ... ومضت لحظات صمت بين الصديقين، ثم قال «تختخ»: في الحقيقة إنني لا أكاد أفهم شيئًا من هذه المغامرة كلها.

محب: ولماذا لا تُخبرني بما تعرف؟

تختخ: عندما جاء المفتش «سامي» لوداعنا على ظهر السفينة، قال لي إن مفتشًا من البوليس السري الإيطالي على ظهر السفينة يدعى «باولو»، وإن «باولو» سوف يتصل بي، ويطلب مساعدتي في مطاردة مهرّب خطير ليس له اسم محدّد؛ لهذا يُطلقون عليه اسم «كلب البحر» ... وهي كلمة السر التي ستكون وسيلة التعارف بيني وبين «باولو» ... وقد التقيتُ به أمس ليلاً وهذه الليلة.

محب: ولماذا يُقابلك في الظلام ولا تراه؟

تختخ: إنها إجراءات للتخفي كما يرى «باولو»، وليس لي حق مناقشته؛ فعلي أن أستمع إلى تعليماته فقط ... ولعله يخشى إن أنا عرفته أن أكشف شخصيته لكم أو لأي إنسان آخر، وهذا يُمثل خطورةً عليه، وعلى العملية كلها.

محب: ومن الواضح أنكما لم تعرفا شخصية «كلب البحر» بعد.

تختخ: لا، ولكني — كما سمعتَ من حديثي مع «باولو» — قد اشتبهتُ في الرجل «المشلول»، غير أن شكله لا يُشبه «كلب البحر»؛ لهذا طلب مني «باولو» ... أن أراقب الراكب «مارسيل» الذي ينزل في القمرة رقم «٣» في الدرجة الأولى.

محب: وهل تُخبر بقية الأصدقاء؟

تختخ: كنتُ أريد ألا أخبركم كما قلتُ لك؛ حتى لا تتعرضوا لمخاطر ... وفي الوقت نفسه حتى لا أفسد عليكم الرحلة.

محب: إن الأصدقاء قد تمرّنوا بما فيه الكفاية على حلّ الألغاز والدخول في المغامرات والمخاطر.

تختخ: هل ترى أن نُخبرهم؟

محب: طبعًا.

وفي هذه اللحظة سمع الأصدقاء حركةً أمام الباب، فقفز «محب» وفتح الباب، فلم يجد أحدًا، لكنه استطاع أن يرى إنسانًا ينحرف في نهاية الدهليز، فأسرع خلفه ... وقفز «تختخ» خلف الاثنين ... استطاع «محب» أن يصل إلى نهاية الدهليز، ووقف يستمع ... واستطاع بالرغم من هدير الماكينات أن يسمع صوت خطوات تنزل السلم إلى قلب السفينة، فنزل سريعًا ... وفي هذه الأثناء كان «تختخ» قد وصل هو الآخر إلى نهاية الدهليز ... ولمّا لم يجد «محب»، استنتج أنه نزل السلم، فنزل هو الآخر، ولكنه لم يجد، وأخذ يسير هنا وهناك حتى وجد نفسه يقترب من صوت الماكينات ... وأدرك أنه عند قاع السفينة ... وخشي أن يُقابله أحد في هذا المكان الممنوع التجوّل فيه، فعاود صعود السلالم من جديد. وخطر له في تلك اللحظة اسم «مارسيل»، والقمرة رقم «٣» في الدرجة الأولى، فأسرع يصعد السلالم حتى وصل إلى صف قُمرات الدرجة الأولى ... كان باب الدهليز الذي تقع القُمرات على جانبيه مغلقًا ... ولكنه لم يتردد، فدفعه بيده، ونظر أمامه فلم يجد أحدًا، وتسلّل على أطراف أصابعه، وكانت الأرض مغطاةً بالسجاد الأحمر السميك؛ فلم يكن يصدر أي صوت.

أخذ ينظر إلى الأرقام النحاسية المثبتة على أبواب القُمرات، حتى وصل إلى القمرة رقم «٣»، التي كان الضوء يتسلَّل من تحت عقب بابها، موضحاً أن ساكنها لم يكن قد نام بعد.

اقترب «تختخ» من القُمرة، وألصق أذنه بالباب يستمع ... واستطاع أن يسمع حواراً غاضباً بين رجلين ... كانا يتحدثان بالإيطالية ... فقد كان يعرف بعض كلماتها ... ولكنه لم يستطع أن يفهم شيئاً ... وأخذ يُفكّر ... هل «محب» هنا؟ ... هل حدث له شيء؟ وبينما هو مستغرق في الإنصات سمع باب الدهليز يُفتح، وسمع صوتاً يصيح: ماذا تفعل؟!

لم يتردّد «تختخ» لحظةً واحدة، بل أطلق ساقيه في اتجاه الباب الآخر للدَهِليز، وفتح الباب بعنف، في حين كان صاحب الصوت يجري خلفه ... ثم قفز إلى الخارج ووقف، وعندما أدرك أن مطارده وصل إلى الباب ... فتح الباب، ثم دفعه بعنف فأصاب المطارد ... وسمع صوت لعنات، ثم صوت جسم يقع على الأرض!

أخذ «تختخ» يجري ونزل السلالم مسرعاً إلى الدور الثاني حيث تقع قُمرات الدرجة السياحية، وبعد لحظات كان يدخل قُمرته متسارع الأنفاس ... وبعد لحظات سمع صوت أقدام فوقف مستعداً ... وفُتح الباب بحذر، ثم أطل وجه «محب».

قال «محب» في ضيق: لقد فقدتُ أثر الرجل.
ردّ «تختخ»: لقد كدتُ أقع في مأزق ... لولا أنني فررتُ في الوقت المناسب.
وروى «تختخ» لـ «محب» ما جرى له في دَهِليز الدرجة الأولى، فقال «محب»: هل رأى الرجل وجهك؟

تختخ: لم أُعطه هذه الفرصة ... فما كدتُ أسمع صوته حتى جريت.
وخلع الصديقان ملابسهما ولبسا ملابس النوم ... وأغلقا الباب جيّداً، واستسلما للنوم سريعاً.

على الأرض

بعد الفطور في اليوم التالي، كانت السفينة «سوريا» تقترب من ميناء «بيريه» اليوناني، ووقف أكثر الركّاب يشهدون اقتراب السفينة من البر ... في حين جلس المغامرون الخمسة معًا على ظهر السفينة، وأخذ «تختخ» يروي لهم قصة «كلب البحر» كلها ... ولماذا أخفى عنهم المعلومات.

وأخذ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» ينظرون إليه في انبهارٍ شديد ... فلم يتصوّروا قط أن كل هذا حدث بدون أن يدروا به ... وأنهم كانوا في نوم عميق، والمطارادات تجري حولهم.

وأنهى «تختخ» حديثه قائلاً: وأنا الآن مُكلّف من «باولو» بمراقبة «مارسيل» ساكن القمرة رقم «٣»، وقد استيقظت مبكّرًا جدًّا وذهبت لأراه قبل أن يخرج ... فلم تكن عندي أي فكرة عن شكله ... وقد رأيته صباح اليوم وعرفت شكله.

نوسة: وهل تستمر في المراقبة؟ ... أو تنزل إلى البر في «بيريه»؟! إن السفينة سوف تبقى في الميناء من التاسعة صباحًا حتى السادسة بعد الظهر.

بدا التردّد على وجه «تختخ»، فقالت «لوزة»: إنها فرصة أن نتفرّج على مدينة لم نرها من قبل ... وبخاصة أنك لن تستطيع أن تفعل شيئًا في النهار.

وأيد «عاطف» و«نوسة» و«محب» كلام «لوزة»، فلم يجد «تختخ» بُدًّا من الرضوخ لرغبتهم ... وهكذا أسرعوا جميعًا يرتدون ملابس مناسبة ... ويحملون معهم بعض النقود لإنفاقها في الميناء.

ودخلت السفينة ميناء «بيريوس»، الذي يسمّى بالعربية «بيريه»، ونسي الأصدقاء «كلب البحر» ... و«باولو»، وكل شيء ... وانتبهوا جميعًا إلى اللحظات القادمة حيث ينزلون إلى البر لأول مرة، بعد مغادرتهم الإسكندرية.

ووقفت السفينة على أحد الأرصفة، وتدافع الرُّكَّاب للحصول على تصريح بزيارة المدينة ... ووقف الأصدقاء الخمسة في الصف حتى حصل كلُّ منهم على التصريح الخاص به، ثم نزلوا السَّلم إلى الأرض ... وقال «محب»: علينا أن نشترى دليلاً صغيراً للمدينة. وكان هناك كشك صغير يبيع الحلوى والتذكارات وغيرها، فأسرعوا إليه، واشترى كلُّ منهم «كارتاً» عليه صورة «بيري»؛ ليرسلوه إلى أسرهم في المعادي. وعرفوا أن «بيري» هي أكبر ميناء في اليونان، وتعدُّ مدخلاً من البحر لعاصمة اليونان «أثينا».

وسأل «تختخ» أحد رجال الشرطة عن المسافة بين «بيري» و«أثينا»، فقال إنها نحو عشرين كيلومتراً، يقطعها «الأوتوبيس» في نحو عشرين دقيقة، فقالت «نوسة»: لماذا لا نذهب إلى «أثينا»؟ ... إنها فرصة لمشاهدة عاصمة اليونان، وإحدى أقدم المدن في العالم. ووافق الأصدقاء على اقتراحها بحماسة ... وأسرعوا إلى موقف «الأوتوبيس»، وسرعان ما كان يسير بهم مسرعاً إلى «أثينا» ... كان الطريق يمر بين تلال عالية ... نمت عليها أشجار العنب والزيتون ... وسرعان ما وجدوا أنفسهم قد وصلوا إلى «أثينا»، حيث اتجهوا إلى ميدان «سندغما» أكبر ميادين العاصمة اليونانية ... وكان الميدان منخفضاً يتم الوصول إليه بسلاسل حجرية ... وتُطل عليه من مختلف النواحي تلال «أثينا»، حيث تقف المعابد القديمة التي بناها الإغريق القدماء.

وسار الأصدقاء يتفَرَّجون، وقد نسوا كل شيء عن اللغز والمغامرة، واستمتعوا بمباهج المدينة التي سمعوا كثيرين من أهلها يتحدثون اللغة العربية ... وقال «محب» معلّقاً على هذه الحقيقة بقوله: لقد عاش عددٌ كبيرٌ من اليونانيين في مصر ... وما زال بعضهم يعيش هناك، وبخاصة في الإسكندرية.

وقبل أن يتم «محب» حديثه، التفت «تختخ» إلى رجل يسير وهو يحمل حقيبة وقال: لقد رأيتُ هذا الرجل من قبل ... ولكني لا أتذكر أين. وأخذ الأصدقاء ينظرون إلى حيث أشار، وفجأة قال «تختخ» بصوت مرتفع: غير معقول!

قال «محب»: ما هو غير المعقول يا «تختخ»؟

تختخ: هذا هو الرجل المشلول!

نوسة: لكن هذا يسير على قدميه!

تختخ: وهذا ما جعلني أقول إنه غير معقول ... تعالوا ننظر أين يذهب.

وأسرع الأصدقاء خلف الرجل الذي لم يكن قد رآهم، وانحرف إلى شارع جانبي، فانحرف الأصدقاء خلفه ... ووجدوه ينحرف مرةً أخرى، ووجدوا أمامهم «كازينو» صغيراً

اسمه «الإيليت»، دفع الرجل بابه الزجاجي ودخل، فلم يتردد الأصدقاء، ودخلوا أيضًا ... واتجه إلى مكان منعزل، وجلس وحيدًا، وقد وضع الحقيبة بجواره ... واختار «تختخ» ركنًا مظلمًا من «الكازينو»، وجلس مع الأصدقاء حتى يتمكن من مراقبة الرجل بدون أن يلفت إليهم الأنظار.

وأخذ «المشلول» ينظر في ساعته بين لحظة وأخرى ... ثم دق جرس التليفون في «الكازينو» ... وتحذت «الجرسون»، ثم أخذ يُنادي على من يدعى «سبيرو»، فقام «المشلول» وتحذت في التليفون ... ثم دفع حسابه واتجه مسرعًا إلى الباب في اللحظة نفسها التي كان فيها «الجرسون» قد أحضر ما طلبه الأصدقاء، فقال «تختخ»: سأخرج خلفه ... موعدا في ميدان «سندغما» قرب السلالم التي على اليمين.

وأُسرع «تختخ» بالخروج ... واستطاع أن يلحق بالرجل عند رأس الشارع، فتبعه ... وسار الرجل طويلاً ... من شارع إلى شارع ... و«تختخ» خلفه وليس في ذهنه خطة معينة ... ووجد الرجل يدخل إلى محلّ لبيع الآثار، وتردد قليلاً، ثم فتح الباب الزجاجي ودخل ... كان المكان مظلمًا تقريبًا، فوقف قليلاً ليرى ما حوله ... ووجد نفسه في قاعة واسعة تكدست فيها كل أنواع الآثار ... وقد تشبعت برائحة الرطوبة والقَدَم ... ولم يكن هناك أثر للرجل ولا لأي إنسان آخر ... فأخذ يُجِيل البصر حوله وهو يتساءل: أين ذهب «سبيرو» المشلول؟! وفجأة سمع صوت باب يُغلق خلفه ... وعندما التفت وجد بابًا من الحديد ينزل على الباب الزجاجي من الخارج ... وساد صمت رهيب وظلام ثقيل.

أحس «تختخ» كأنه في بئر بلا قرار ... مظلمة ... ولا أثر للحياة فيها ... ولم يكن معه مصباحه الكهربائي الذي كثيرًا ما استعان به في مثل هذه الحالات.

أخذ «تختخ» يُنصت ويتلفت وهو واقف في مكانه ... لكن شيئًا حوله لم يتحرك، ولم يسمع أي صوت. وأدرك أن الباب يُغلق بالتيار الكهربائي بمجرد الضغط على زر صغير ... فمن الذي أغلقه؟ وأين ذهب «سبيرو»؟ وماذا يفعل؟

أسئلة كلها بلا إجابة.

وأخذ يُفكر في الأصدقاء وهم يقفون في ميدان «سندغما» وهم لا يعرفون أحدًا ... وموعد السفينة بعد ساعات قليلة.

وبدأ يتحرك وقلبه يدق ... لكنه لم يكد يتقدم خطوة واحدة حتى اصطدم بتمثال ضخم من الحجر في رأسه ... فعاود الوقوف مكانه ... وشيئًا فشيئًا بدأت عيناه تعتادان الظلام ... ويرى ما حوله في غير وضوح ...

ماذا يفعل؟

كان هذا السؤال يُلحَّ عليه بشدة حتى أحسَّ كأن رأسه ينفجر ... وأحسَّ بالتعب من طول الوقوف ... فحاول البحث عن مكانٍ يستطيع أن يجلس فيه ... وتحركَّ ببطءٍ حتى لا يصطدم بشيءٍ آخر ... ونفذت إلى أنفه رائحة تبغ قوية ... إنه قريب من منفضة سجائر ... ولعل بجوارها علبة كبريت إذا كان حسن الحظ ... وأخذ يتشمَّم الهواء حوله وهو يتقدَّم أكثر فأكثر من مصدر الرائحة، حتى استطاعت يداها - وهو يتحسَّس طريقه - أن تعثر على مكتب ... ومدَّ أصابعه لتحسَّس المكتب ووجد ما توقَّعه ... علبة كبريت، وأمسكها بأصابع مرتعشة وهو لا يصدِّق نفسه، ثم أشعل عودًا أضاء دائرة حوله ... وأحسَّ أنه سيقع من طوله؛ فعندما أضاء عود الكبريت وجد التماثيل التي حوله كأنها تتحرك ... وجوه سود ... وأفاج ... وفرسان ... كلها من العصر القديم ... وأخذ ينظر حوله للبحث عن منفذ ... ثم أحسَّ بعود الكبريت يكاد يحرق أطراف أصابعه فألقاه، ثم أشعل عودًا آخر، وبدأ يتجوَّل داخل المخزن الكبير ... لقد دخل ... «سبيرو» هنا ولم يخرج من باب المدخل ... لا بد أن هناك منفذًا آخر.

وسار يبحث قرب الجدران التي تكدَّست حولها التماثيل والموائد والملابس التاريخية ... ومرة أخرى يُصادفه الحظ الحسن ... لقد وجد شمعةً كبيرةً مثبتةً في شمعدان جميل من الفضة ... فأشعلها ... واستطاع على ضوءها أن يرى المخزن جيِّدًا. سار يتأمَّل ما حوله ... ثم خيَّل إليه أنه يسمع صوت أقدام قريبة ... قريبة جدًا ... وجمد الدم في عروقه ... من هناك؟! وفجأةً سمع نفخةً قويةً من خلفه أطفأت الشمعة، وسمع صوتًا عميقًا يقول في الظلام: ماذا تفعل هنا؟!

«باولو»؟! ... هكذا صاح «تختخ» عندما سمع الصوت وقد أحسَّ بسعادة طاغية ...

عاد «باولو» يقول: ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

تختخ: ما دمت قد عرفتَ مكاني، فلا بد أنك تعرف كيف أتيتُ إلى هنا.

باولو: ألم أنبئه عليك أن تترك «المشلول» في حاله ... ألم أطلب منك أن تُراقب

«مارسيل»؟

تختخ: ولكن «المشلول» يسير على قدميه!

باولو: إنني أعرف هذا وأكثر ... ومن المهم أن تسمع تعليماتي جيِّدًا وإلا أفسدت

خطتي في القبض على «كلب البحر».

قال «تختخ» باعتذار: آسف جدًا ... لم أكن أعرف أنك على هذا القدر الكبير من البراعة

... ولكن كيف عرفت مكاني؟

باولو: لقد كان رجالي يتبعونك طول الوقت ... إننا نخاف عليك من «كلب البحر»؛
فهو رجلٌ داهيةٌ وجبَّارٌ لا يرحم.

تختخ: آسف مرةً أخرى ولكن ...

باولو: ولكن ماذا؟

تختخ: لماذا لا تظهر إلا في الظلام؟

قهقهه «باولو» ضاحكًا، ورنَّ صدى ضحكته في الظلام، فأحسَّ «تختخ» بنوعٍ من
الرعب، ولكن صوت «باولو» أعاد إليه شجاعته وهو يقول: ستعرف كل شيءٍ في النهاية ...
وأنصحك ألا تُكثر من الأسئلة وأن تسمع التعليمات جيدًا.

ساد الصمت لحظات، ثم قال «باولو»: سأفتح لك الباب، فأسرع إلى السفينة قبل أن
تُغادر «بيري».

وسمع «تختخ» صوت الباب يُفتح ... والتفت خلفه فوجد الباب الحديدي ينسحب
تدريجياً إلى أعلى، ثم انفتح الباب الزجاجي أيضاً، ودخل ضوء النهار إلى المخزن فبدد قليلاً
من ظلمته ... وأسرع «تختخ» فنفذ من الباب إلى الشارع ... وملاً رثنيته من الهواء النقي
... وألقى نفسه في أقرب تاكسي، وقال للسائق كلمةً واحدة: «سندغما».
وتحرَّك التاكسي منطلقاً إلى الميدان الكبير.

خطة جديدة

وقف التاكسي بعد رحلة طويلة إلى ميدان «سندغما» ... ونزل «تختخ» مسرعاً يعدُّ «الدراخمات»، وهي عملة اليونان التي معه، وهو يخشى ألا تكفي أُجرة التاكسي ... ولكن ما معه كان كافياً؛ فقد بلغ الحساب ١٥ «دراخمة». وأسرع «تختخ» إلى حيث اتفق مع الأصدقاء على اللقاء، فوجدهم في انتظاره، وقد انتابهم قلقٌ فظيخ عليه، وانطلقوا جميعاً في نفس واحدٍ يسألونه عن سبب غيابه ... لكن «تختخ» لم يُجب، بل صاح فيهم: اجمعوا كل ما معكم من «دراخمات». لا تَبْقُوا إلا ما يكفي «للأوتوبيس» وبعض الطعام.

ومدَّ الأصدقاء جميعاً أيديهم في جيوبهم وهم مندهشون، ثم قال «محب»: لماذا؟! تختخ: أريد أن أرسل برقيةً إلى القاهرة.

نوسة: القاهرة؟!!

تختخ: نعم ...

عاطف: لتطمئن والدتك مثلاً.

تختخ: ليس هذا وقت الضحك يا «عاطف»، سأُرسِل البرقية إلى المفتش «سامي» ... لوزة: المفتش «سامي»! ... هل تُرسل له البرقية ليحضر؟ تختخ: بالضبط.

عاطف: إنك تضحك الآن! ... أين يحضر؟ إلى «أثينا»؟!!

تختخ: لا يا حضرة الذكي الخفيف الدم ... ولكن لينتظرننا في «فينسيا». محب: بالطائرة طبعاً ...

تختخ: طبعاً بالطائرة إلى مطار «الليدو» في «فينسيا»!

لوزة: ولكن لماذا؟! إذا كنّا محتاجين إلى مساعدة فعندنا المفتش «باولو».

تختخ: فعلاً ... ولكني أريد المفتش «سامي»، هناك أشياء في غاية الخطورة ... ونحن لن نستطيع التفاهم مع رجال الشرطة في إيطاليا ... من المهم أن يحضر المفتش «سامي». كان الحديث يدور بينهم وهم سائرون يبحثون عن أقرب مكتب لتلغراف، وبواسطة أحد رجال الشرطة وجدوا مكتباً ... واستطاع «تختخ» ببعض الكلمات الإنجليزية والإيطالية أن يتفاهم مع الموظف، وأرسل برقيةً إلى المفتش «سامي» باللغة الإنجليزية، نصّها:

نصل «فينسيا» بعد ثلاثة أيام. انتظرنا في الميناء للأهمية.

تختخ

وبعد أن أرسل «تختخ» البرقية قال للأصدقاء: بقيت أربع ساعات على موعد إبحار السفينة ... فهل نذهب إلى هناك أو نكمل جولتنا؟

نوسة: نحن لم نسمع ماذا حدث لك ... تعالوا لنشترى بعض الساندويتشات ثم نجلس للغداء، فقد جعتُ جداً.

وافق الأصدقاء جميعاً بحماسةٍ على اقتراح «نوسة»، وقال «محب»: إن اليونان تُشتهر بالفاكهة، وبخاصة العنب والخوخ ... وبالجبن والسردين ... تعالوا لنشترى من هذا المحل القريب.

وأشار «محب» إلى محلٍّ انتشرت أمامه صناديق الفاكهة، فأسرعوا جميعاً إلى هناك، وأخذوا يُشيرون إلى ما يطلبون، حتى حصلوا على كل ما اشتَهُوه، وساروا حتى وجدوا كنيسةً صغيرةً تُحيط بها حديقة هادئة، يقف على أرضها الحَمَام، فجلسوا على الكراسي الخشبية، وتناولوا أشهى غداء، وحرصوا على جمع ما تخلف منهم من أوراقٍ وبقايا؛ ليُلْقُوا بها في صندوق المهملات. وروى «تختخ» لهم ما حدث له، وتجوّلوا قليلاً، ثم ركبوا «الأوتوبيس» عائدين إلى الميناء.

وعندما أصبحوا جميعاً على السطح مرةً أخرى قال «تختخ»: أريدكم جميعاً أن تنتشروا على السفينة، وتبحثوا عن الرجل المشلول ... ومن السهل طبعا العثور عليه إذا كان موجوداً.

أمّا «تختخ» فقد وقف بجوار سلّم السفينة، يشهد عودة بقية المسافرين الذين نزلوا مثلهم إلى البر؛ لزيارة «بيرييه» أو «أثينا» ... كان يأمل أن يُشاهد عودة المشلول، أو التعرّف على «باولو» ... وأخذ الرُّكَّاب يتزايد عددهم كلما اقترب موعد إقلاع السفينة ... حتى إذا

أشرفت الساعة على السادسة رُفِعَ السِّلْمُ، ودارت آلات الباخرة، واستدارت لتخرج من الميناء الضخم، بدون أن يرى «تختخ» الرجل المشلول ... أو يتعرَّف على «باولو»!
وعندما اجتمع الأصدقاء على السطح، يشهدون خروج السفينة إلى عرض البحر، أكدوا جميعاً أنهم لم يجدوا أثراً للرجل المشلول على ظهر السفينة، ولكن «محب» قال: لعله في قمرته.

تختخ: نستطيع أن نتأكد بطريقة سهلة ... انتظروني هنا ...
وذهب «تختخ» إلى الضابط المسئول عن جوازات المسافرين، وبعد أن حيَّاه قال: لقد تعرَّفنا على رجل مشلول كان يتفرَّج على مباريات الكرة ... فهل تعرفه؟
الضابط: نعم ... إنه إيطالي وقد نزل في «بيريه»!
تختخ: ولم يعد؟
الضابط: لا، لم يعد برغم أن تذكرته كانت إلى «فينسيا»، ولكن كل مسافرٍ حرٌّ أن يتصرَّف كما يشاء ... لقد طلب جواز سفره ونزل ولم يعد.
قال «تختخ»: شكراً.

وانصرف وقد ارتسمت على وجهه ملامح التفكير العميق، وعندما انضمَّ إلى الأصدقاء قال لهم: لقد حدث ما توقَّعته ... نزل المشلول إلى «بيريه» ولم يعد ... برغم أنه قطع التذكرة إلى «فينسيا»!
نوسة: مدهش جداً!
تختخ: طبعاً ... شيءٌ غريب ... ولكن هذا ما توقَّعته.
لوزة: ماذا تعني يا «تختخ»؟

تختخ: إنني أفكر في أشياء كثيرة ... تعالوا نقف في مكان بعيد عن بقية الركَّاب.
واختاروا مكاناً بعيداً على ظهر السفينة. وقف «تختخ» يتحدث إليهم بصوت هامسٍ قائلاً: أرجو أن تظلُّوا مستيقظين هذه الليلة، وبملايسكم الكاملة؛ فإنني أتوقَّع أن أقابل «باولو» الليلة.

وسكت «تختخ» قليلاً، ثم عاد إلى الحديث قائلاً: إنه — كما لاحظ «محب» — ينزل من على السِّلْم الأيسر إلى قلب السفينة. أريدكم أن تقفوا في أماكن متقاربة على طول الجانب الأيسر، بحيث ترونه ولا يراكم ... فإنني أريد أن أعرف أين يذهب بعد مقابلتي ... المهم ألا يراكم.

محب: ولكن لماذا يا «تختخ»؟

تختخ: دعك الآن من الأسئلة يا «محب»، وهياً لنرى السلم الأيسر، ونختار لكل منكم مكانه من الآن؛ حتى لا ترتبكوا.

وذهب الأصدقاء إلى الجانب الأيسر للسفينة ... ثم نزلوا السلم، واختاروا لكل واحدٍ منهم مكاناً يستطيع أن يقف فيه، بدون أن يراه «باولو» وهو عائد، ثم صعدوا إلى السطح مرةً أخرى انتظاراً لموعد العشاء، أمّا «تختخ» فقد اتجه إلى قُمرات الدرجة الأولى؛ ليراقب القمرة رقم «٣»، حيث ينزل «مارسيل»، كما طلب منه «باولو».

اقترَب «تختخ» من القُمرة في هدوء ... ثم نظر حوله ... لم يكن هناك أحد؛ فقد خرج كل المسافرين للعشاء ... وخطر في رأسه خاطر سرعان ما نفّذه ... مدَّ يده واختبر الباب فوجده مفتوحاً ... ودفع الباب بهدوء، وخطا خطوةً إلى الداخل ... كان الظلام يسود القُمرة ... وكاد «تختخ» يُغلق الباب ويدخل، لولا أن أحسَّ فجأةً بخطرٍ قريب ... وحُيِّل إليه أنه يسمع صوت أنفاس تتردّد في القُمرة المظلمة ... ثم خطر بباله سؤال: كيف يترك «مارسيل» باب قمرته مفتوحاً؟ إن ذلك شيءٌ غير عادي من مُهرَّب أو رجلٍ يعمل مع عصابةٍ خطيرة كعصابة «كلب البحر» ... وهكذا تراجع خطوة، وأغلق الباب وانطلق إلى العشاء.

كان الأصدقاء مرةً أخرى قد سبقوه، وجلسوا في ركنٍ بعيد، لم يكن يستطيع الوصول إليه بعد أن احتلَّ بقية الركّاب أماكنهم ... وارتاح «تختخ» لجلوسه وحيداً؛ فلا بد أن «باولو» سيحاول الاتصال به الليلة، وهذه فرصة ليُرسل له رسالة ... وفرصة لـ «تختخ» ليأخذ باله جيداً؛ فقد يستطيع التعرّف على «باولو» ... إذا كان هو الذي سيضع الرسالة ... أو يتعرّف على أحد أعوانه.

ورفع «تختخ» الطبق الأول لعله يجد الرسالة، كما وجدها في المرة الأولى، ولكنه لم يجد شيئاً ... وجاء الطعام فتناوله في ببطء ... فقد كان ذهنه يعمل في سرعة، وهو يُفكّر في الرجل المشلول ... ومغامرته في مخزن الآثار العجيب، وإنقاذ «باولو» له في الوقت المناسب، وإلا ضاعت فرصة وصوله إلى السفينة.

كان هناك سؤال يُلحّ عليه: كيف عرف «باولو» مكانه؟ إنه قطعاً ضابط ممتاز ... ولا بد أنه لا يعمل وحده ... وقبل أن يستمرّ في أفكاره وجد الأصدقاء يُحيطون به ... فأسرع في الانتهاء من طعامه، وقام معهم، واتجهوا جميعاً إلى سطح السفينة، وازدحم السطح بالركّاب بعد العشاء يستريحون النسيم ... ويتناولون المرطبات ... وكانت الموسيقى الراقصة تصدح على السطح، والأنوار الملوّنة تنعكس على البحر الهادئ، فقالت «نوسة»: إننا في حلمٍ جميل!

ردّ «عاطف»: ولكن «تختخ» لا يُحب الأحلام؛ فقد زجّ بنا في مغامرة مخيفة.
قال «تختخ»: لقد كنتُ أحاول إبعادكم عنها فعلاً؛ فليس هذا وقت المغامرات ... وفي إمكانكم أن تنسحبوا.
قالت «لوزة» في عتاب: كيف ننسحب ونترك وحدك أمام هذه العصابة الخطيرة؟ ...
إن ما يُصيب أي واحدٍ فينا كأنه أصابنا جميعاً.
عاطف: لم أكن أقصد أن تغضب يا «تختخ» ... إنني طبعاً معكم في كل شيء.
تختخ: إذن لا تنسوا أماكنكم ... إن جزءاً كبيراً من خطتي متوقّف على مقابلي
لـ «باولو» ... وقدرتكم على متابعته.
ومضت ساعة ... وبدأ الجو يبرد ... فقرّر الأصدقاء النزول إلى قمراتهم واستكمال
السهرة هناك.
عندما دخل «تختخ» قمرته، وأضاء النور ... لاحظ وجود ورقةٍ على الفراش مطبقة
بعناية، ففتحها ... وكانت كما توقّع من «باولو»:
سأراك الليلة في المكان نفسه ... موعدنا منتصف الليل.

قال «تختخ» لـ «محب»: كونوا على حذرٍ تماماً يا «محب» ... سوف أقابل «باولو»
الليلة ... وأريد أن أعرف منه تفاصيل أكثر عن العصابة ... إنني لا أريد أن أقف متفرّجاً
فقط ... فإذا كان يُريدنا أن نُساعده فلا بد أن يُشركنا في خطته ... فإذا استطعتم معرفة
مكانه؛ فسوف نُثبت له أننا قادرون على مساعدته فعلاً ... ولسنا مجرد أولاد يُوجّههم كما
يشاء.

واستلقى «تختخ» على فراشه مستيقظاً ... وكذلك فعل بقية الأصدقاء. وعندما أشرفت
الساعة على منتصف الليل، أسرع «محب» و«عاطف» و«نوسة» و«لوزة» إلى أماكنهم
للمراقبة ... وبعدهم اتجه «تختخ» إلى السطح، ومنه إلى مقدمة السفينة لمقابلة «باولو».

البارونة «شيليا»

وقف «تختخ» في الظلام ينتظر «باولو»، ولم يطل انتظاره طويلاً؛ فقد سمع صوتاً يقول في سخرية: كادت العصابة أن تفتك بك اليوم ...
ردّ «تختخ»: لقد وقعتُ في المصيدة بسذاجة.
ضحك «باولو» في الظلام قائلاً: ألم أقل لك ألا تتصرّف وحدك؟ ... وإن عليك أن تسمع تعليماتي ...

تختخ: آسف جداً ... ولكن مقابلتي للرجل «المشلول» يسير على قدميه جعلتني أندفع خلفه ... لقد ظننت أنه «كلب البحر» فطارده ...
عاد «باولو» إلى الضحك قائلاً: هل تظن أن «كلب البحر» مهزّب ساذج؟! إنه أخطر وأدهى مهزّب ... ولا يمكن أن يقع في يدك أو في يد أي إنسان آخر بهذه البساطة!
وتوقّف قليلاً، ثم عاد يقول: لقد حيرَ أعظم رجال الشرطة في العالم، ولن يقع إلا عندما أريد! ...

تختخ: ولماذا تتركه يقوم بجرائمه، ما دمت تستطيع أن تضعه بين يدي العدالة؟
باولو: لم تنضج الخطة بعد ... إن عمل رجل الشرطة يحتاج إلى صبرٍ طويل، وضبط أعصاب ... وسوف تجد أن خطتي ستنجح تماماً، وستكون مفاجأة لك ... وللمفتش «سامي» الذي أرسلك.

تختخ: إن ما لم أفهمه حتى الآن هو لماذا لا تدعني أراك؟!
باولو: لقد قلتُ لك من قبلُ إن دواعي الأمن والاحتياطات تستدعي أن أظلّ مختفياً، وقد صدق ظني ... واتضح أنك يمكن أن تقع بسهولة، كما وقعتَ اليوم، فكيف أتركك تعرفني، وقد تُخطئ كما أخطأت ... وتُعرض خطتي للإخفاق؟!
تختخ: آسف مرةً أخرى ... لكن ما هي خطتك القادمة؟

باولو: أريدك أن تُنفِّذ ما أقوله جيِّداً ... إن معكم خمس حقائب، لكل واحد منكم حقيبة ... أليس كذلك؟

تختخ: تماماً.

باولو: إنني أريد منكم أخذ رسالة مني إلى شرطة «فينسيا» ... إنها ليست رسالة صغيرة ... إنها طرد به أدلة، ستُؤدِّي إلى القبض على «كلب البحر»، وسوف أحصل على هذه الأدلة غداً ... وإذا اكتشف «كلب البحر» ضياعها فسوف يقلب السفينة رأساً على عقب للبحث عنها ... ولكنه بالطبع لن يشكَّ فيكم مطلقاً ... وعليكم أن تضعوها في إحدى حقائبكم.

تختخ: هذا معقول جداً.

باولو: وعندما تصلون إلى «فينسيا» تذهبون إلى العنوان الذي سأكتبه لكم ... وتُسَلِّمون الطرد ... وسوف يتمكَّن رجال الشرطة من القبض على «كلب البحر» ... هل فهمت؟

تختخ: طبعاً.

باولو: لا تنسَ أن تُنفِّذ كل كلمة قلَّتها لك ... إنك ستُعاون فعلاً في القبض على «كلب البحر».

تختخ: ألم تكتشف شخصيته حتى الآن؟

باولو: إنه كما تعرف مجهول الشكل ... مجهول الاسم ... ولكنني حصلت على بصمات قد تكون له ... وبعض قطع من الملابس ... وأشياء أخرى سوف يتمكَّن رجال الشرطة في إيطاليا عن طريقها من معرفة شخصيته والقبض عليه.

تختخ: وهل أستمِر في مراقبة «مارسيل»؟

باولو: طبعاً ... عليك بمراقبته غداً طول النهار ... وليلاً حتى الوصول إلى «فينسيا» ... إنني أشكُّ فيه، ولكنني لست متأكِّداً ... وقد تستطيع بذكائك أن تصل إلى أدلةٍ مهمَّة.

تختخ: لقد فهمتُ كل شيء.

باولو: إلى اللقاء في «فينسيا» ... وسوف تُقابلني هناك.

تختخ: كيف؟

باولو: سوف أتصل بك.

وأحسَّ «تختخ» أن الحديث انتهى ... فقال وهو يتحرَّك للانصراف: إلى اللقاء.

وردَّ «باولو»: إلى اللقاء في «فينسيا».

تحرك «تختخ» سريعاً، ومرّ بالجانب الأيمن من السفينة ... وهو يرجو أن يُنفذ الأصدقاء خطته ... ووصل إلى قمرته وجلس في انتظار عودة الأصدقاء ... ولم تمضِ دقائق حتى وصلوا جميعاً.

قال «تختخ» في اهتمام: هل نفذتم الخطة؟
ردّ «محب»: ليس تماماً.

تختخ: كيف؟

محب: لقد سار بسرعة جداً ... ولم يكن في إمكاننا أن ننظر إليه حتى لا يشك فينا، كما قلت لنا ... ولكننا استطعنا تتبّع خطواته حتى وصل إلى صف القُمرات التي ينزل في إحداها، ولم نستطع متابعته حتى لا نكتشف.

تختخ: ألم تعرفوا أين ينزل؟

محب: لقد حصرنا شبهتنا في ثلاث قُمرات ... ولا بد أنه ينزل في إحداها.
تختخ: عظيم جداً ... لقد أدّيتُم مهمّتكم.

محب: وماذا فعلت أنت؟

تختخ: لقد كُلفنا بمهمّة عظيمة سنقوم بها، وعن طريقها سوف يتمكن رجال الشرطة في إيطاليا من القبض على «كلب البحر».
وانصرف الأصدقاء كلّ إلى فراشه.

في صباح اليوم التالي ذهب «تختخ» إلى الغرفة المخصّصة للبيع في السفينة، واشترى بطارية كهربائية صغيرة، ثم اتجه إلى قُمرات الدرجة الأولى حيث ينزل «مارسيل» ... وبينما هو يتسكّع في الممر في انتظار ظهور «مارسيل»، ظهرت سيدة عجوز طلبت منه أن يُساعدَها في اجتياز الممر إلى قمرتها ... وسعد «تختخ» بأنه سيقوم بهذا الواجب الإنساني، وفي الوقت نفسه يؤدّي واجبه في مراقبة «مارسيل». وكانت قُمرة السيدة العجوز هي القمرة التالية لقُمرة «مارسيل»، ففتح «تختخ» الباب، وساعدها على الدخول ... وبدأ ينسحب إلى الخارج ... ولكن السيدة العجوز قالت له بالإنجليزية: هل تستطيع أن تبقى قليلاً؟ أريد أن أقدم لك شيئاً تشربه.

شكرها «تختخ»، ولم يجد بأساً في الانتظار بعض الوقت معها.

قالت السيدة: إنني أطوف بالعالم وحيدة ... وأحب التعرّف بالناس في كل مكان
أذهب إليه ... فمن أنت؟

قال «تختخ»: اسمي «توفيق» ... وأسافر مع أربعة من الأصدقاء في رحلة إلى «فينسيا»
... ومنها إلى «ميلانو» لزيارة عمي هناك.

السيدة: وهل كل أصدقائك في مثل سنك؟
تختخ: إن الباقين أصغر مني سنًا ... فأنا أكبرهم.
السيدة: وتُسافرون وحدكم؟

تختخ: نعم ... فنحن من هواة الرحلات والمغامرات.
السيدة: شيء مدهش تمامًا! ... فأنا أيضًا أحب الرحلات والمغامرات ... وسوف أقضي
في «فينسيا» بعض الوقت ... فإذا كان هناك فرصة فتعالوا لزيارتي، فإنني أسكن في قصرٍ
كبيرٍ وحدي، أتمنى أن أجد من يؤنس وحشتي.

تختخ: سيُسعدنا ذلك حقًا ... ولكنني لم أعرف بعد اسمك.
ضحكت السيدة العجوز وهي تُقدِّم له علبةً من عصير الأناناس قائلة: آسفة جدًا ...
لم أقدم لك نفسي بعد ... اسمي «شيليا» ... وأحمل لقبًا قديمًا هو لقب «بارونة» ... ولي
عدة بيوت في بعض البلاد حيث أنزل كلما رحلت.

تختخ: إنها حياةٌ جميلةٌ تلك التي تتمتعين بها يا سيدتي البارونة.
السيدة: إن أصدقائي يُنادونني «شيليا» فقط ... فنادني به؛ فقد أصبحت صديقي،
وأرجو أن تقبلوا ضيافتي عندما نصل إلى «فينسيا».

تختخ: شكرًا لكرمك العظيم.
أخرجت «شيليا» من حقيبة يدها «كارتًا» وقدمته لـ «تختخ» قائلة: هذا هو عنواني ...
أخذ «تختخ» «الكارت» فوضعه في جيبه، ثم شكر «البارونة»، وخرج وهو في غاية
السعادة ...

وجد الأصدقاء على ظهر السفينة يتفرَّجون على شواطئ البحر «الأدرياتيكي» الذي
دخلته السفينة ... وعلى جانب شبه الجزيرة الإيطالية التي يُشبه شكلها الحذاء على
الخريطة، وكانت الجبال تبدو من بعيدٍ وقد تنوعت ألوانها، وكأنها في استعراض الأزياء.

قال «تختخ» لـ «محب» هامسًا: اسمع يا «محب» ... إن أماننا الليلة مغامرة تحتاج
إلى قوة عضلاتك ومرونة جسمك، وسنعدُّ لها من الآن.

محب: وكيف تكون المغامرة؟ هل هي معركة؟

تختخ: أرجو ألا تصل إلى معركة.

محب: وما هو المطلوب مني بالضبط؟

تختخ: أولاً: تُحدّد لي القُمرات الثلاث التي تتصوّر أن «باولو» في إحداها ... ثانياً: نحاول دخول هذه القُمرات الثلاث ... فإذا لم نتمكن فسيأتي الجزء الخطير من المغامرة. وسكت «تختخ» قليلاً، ثم عاد يقول: سنبحث عن قطعة حبل طويلة وقوية تستطيع أن تتحمّل ثقلك، وستندلّي بواسطة هذا الحبل لنتنظر من خلال النوافذ الثلاث لترى «باولو» ... إنني أريد أن أراه.

محب: ولكن لماذا كل هذا من أجل رؤية «باولو»، وسوف تراه عندما نصل إلى «فينسيا» كما وعدك؟!

تختخ: من المهم جداً أن أراه قبل أن نصل إلى «فينسيا». ونزل الصديقان إلى القُمرات الثلاث التي حدّدها «محب»، ولم يتردّد «تختخ» في مدّ يده ومحاولة فتحها. ودُهِش «محب»، ولكن «تختخ» كان جاداً وصارماً ... وعندما انفتح أول باب، أطلّت سيدة تسأل عن الطارق، فاعتذر لها «تختخ» وانسحب ... وكذلك فعل في القُمرة الثانية عندما أطلّ طفل وسأل عما يطلب. وعندما حاول «تختخ» فتح القُمرة الثالثة وجد بابها مغلقاً، فقال لـ «محب»: هذه هي قُمرة «باولو» التي سنحاول الليلة النظر إليها من خلال الكُوّة الزجاجية؛ أي نافذة القُمرة المستديرة ...

وصعد الصديقان إلى السطح مرةً أخرى، ووجدا كثيراً من قطع الحبال التي تصلح للغرض، فقام «تختخ» بربط واحدٍ منها في أحد الأعمدة الحديدية فوق كُوّة القُمرة مباشرة، ثم عادا إلى بقية الأصدقاء.

فوق الأمواج

في المساء وصلتُ إلى «تختخ» الرسالة المعتادة من «باولو»؛ لمقابلته في منتصف الليل ... فقال لـ «محب»: إنها فرصتك أن تنزل على الحبل وتنظر إلى القُمرة، و«باولو» غير موجود. محب: ولماذا سأنظر فيها ما دام ليس موجوداً؟!

تختخ: بصراحةٍ يا «محب» ... إن في ذهني فكرةً غريبةً أُريد أن أتأكد منها ... وكل ما أطلبه منك أن ترى جيداً ماذا في داخل قُمرة «باولو».

وقبل منتصف الليل، صعد «تختخ» و«محب» إلى ظهر السفينة، ومعهما «عاطف»، بعد أن شرح له «تختخ» ما يفعله ... كان عليه أن يُراقب؛ حتى لا يفاجئ أحدٌ «محب» في أثناء مهمَّته.

وفي منتصف الليل تماماً كان «تختخ» يتجه مسرعاً إلى مقدمة السفينة، في حين كان «محب» يُمسك بالحبل، ويتدلى بجانب السفينة محاولاً ضبط توازنه حتى يكون بجانب القُمرة ... وكانت الرياح تهبُّ بشدة، والأمواج مرتفعة، والسفينة تهتز، كما هي غالباً في بحر «الأدرياتيك» ... وأخذ ينزل تدريجياً، وكلما اقترب من نافذة القُمرة تناثر عليه رذاذ الماء، حتى إذا أصبح في محاذاتها تماماً، نظر بحذرٍ من خلال النافذة الزجاجية، ولكن النور كان مطفأً ... فأخرج البطارية التي أعطاها إياها «تختخ»، وأطلق شعاعاً من النور داخل القُمرة، وأخذ يتطلَّع جيداً إلى كل شيءٍ فيها.

في هذه الأثناء كان «تختخ» يقف في الظلام يتحدثُ إلى «باولو» الذي قال له: عليك الليلة أن تعدَّ الحقيبة التي سنضع فيها الطرد ... ولا داعي لإخبار أصدقائك عنه ... إنها مسألةٌ في غاية السرية.

قال «تختخ»: تأكد أن كل شيءٍ سيمضي على ما يرام.

باولو: ستكون لك جائزة ممتازة.

تختخ: شكرًا لك.

كادت المقابلة أن تنتهي، لولا أن «تختخ» أراد أن يكسب بعض الوقت حتى يُتيح لـ «محب» أطول فرصة ممكنة، فقال لـ «باولو»: لقد أوشكت الرحلة أن تنتهي بدون أن نفعل شيئاً ... فلم نعثر على «كلب البحر» ... ولم نخطُ خطوةً نحو التعرف عليه.

باولو: لقد تَمَّت أشياء كثيرة في هذه الفترة، وقد قلتُ لك إن هناك مفاجأةً في انتظارك، عندما تصل إلى «فينسيا». وعلى كل حال ... استمرّ في مراقبة «مارسيل».

انتهت المقابلة ... وأسرع «تختخ» إلى قُمرته، وهو يرجو أن يجد «محب» قد عاد ... وعندما وجد النور مضاءً أدرك أن «محب» في القُمرة، فدخل مسرعاً، وكان «محب» يجلس وبجواره «عاطف»، فقال «تختخ» متعجلاً: ماذا وجدت؟

محب: وجدتُ آخر ما كنتُ أتوقعه! ... رجلاً موثق اليدين والقدمين ... وعلى فمه شريط لاصق يمنعه من الكلام.

قفز «تختخ» عندما سمع هذا الكلام قائلاً: هذا ما توقَّعته! ... هذا ما توقَّعته!

محب: ما الذي توقَّعته؟

تختخ: أن هذا الرجل هو المفتش «باولو»!

محب: غير معقول!

تختخ: بل هو المعقول الوحيد!

محب: ولكن كيف؟! ومن الذي تُقابله إذن؟

تختخ: إنني أقابل «كلب البحر» ... إنه المهرَّب الدولي الخطير الذي لم يره أحد! ... وقد استطاع «كلب البحر» أن يعرف شخصية «باولو»، وأن يوقعه في فخ، ويتقمَّص شخصيته ... ثم قام بهذه التمثيلية ليُقنعني أنه «باولو».

محب: غير ممكن!

تختخ: بل هذا هو الممكن الوحيد ... وقد كنتُ أشكُّ فيه من أول لحظة، ولكني لم أكن متأكِّداً ... شككتُ فيه عندما أصرَّ على أن يبقى مختفياً طول الوقت ... شككتُ فيه عندما طلب منِّي مراقبة «مارسيل» الذي لا علاقة له بشيء ... شككتُ فيه أكثر عندما طلب منِّي الابتعاد عن الرجل «المشلول»، وهو عضو في عصابته، وتأكدتُ عندما أوقعني في فخٍّ مخزن الآثار، ثم أنقذني حتى يُبعد عن ذهني أي شك، والآن أصبحتُ متأكِّداً تماماً.

محب: ما هي خطتك؟

تختخ: إنه يحاول أن يهرَّب شيئًا عن طريقنا، وسوف نتظاهر بأننا نُصدِّقه حتى نصل إلى «فينسيا» ... وفي «فينسيا» سيكون المفتش «سامي» في انتظارنا، وسنتركه يقبض على «كلب البحر» الحقيقي، ويُنقذ «باولو».

عاطف: يا لك من داهية!

تختخ: يا لك من ولدٍ ظريف!

محب: ولكن كيف نتعرَّف على «كلب البحر» وسط كل هؤلاء الركَّاب؟

تختخ: سيقع في يدنا غدًا ليلاً!

محب: إنك تحلم!

تختخ: لا بأس من أن نحلم أحيانًا.

محب: وما هي خطتك؟

تختخ: سيقابلني «باولو» غدًا ليلاً؛ ليعطيني الطرد الذي يُريد توصيله إلى «فينسيا» ... وستكونون معي جميعًا على مقدمة السفينة عندما يصل، وهناك شبكة كبيرة تُستعمل في تغطية الصناديق والسيارات، سنُلقيها عليه، ثم نقفز عليه جميعًا، ونشد وثاقه ... ونُسلمه كالطرد إلى المفتش «سامي».

المصيدة

تسلّم «تختخ» رسالة «باولو» في مساء اليوم التالي. قرأها ثم جلس مع الأصدقاء يُناقشون الخطة التي سيُنَفَّذونها للقبض على «كلب البحر».

فقال «عاطف»: إنكم متفائلون جدًّا ... كيف تتصوِّرون أنه من السهل القبض على هذا المهرَّب الخطير الذي لم يستطع رجال الشرطة في كثير من بلاد العالم القبض عليه؟! ردَّ «تختخ»: إنني أعتمد على المفاجأة؛ فـ «كلب البحر» لا يتصوَّر أنني كشفت حقيقته ... وسوف يأتي ليسخر مني كالعادة، ويطلب أن أراقب «مارسيل» الذي لا علاقة له بالعصابة نهائياً ... وسوف أظاهر بأنني صدّفته حتى لا يشك في شيء.

محب: وما هو دورنا بالضبط؟

تختخ: إنني أعرف الآن أين يجلس «كلب البحر» عندما أتحدّث معه، وسوف أُحدّد لكم الأماكن التي ستختفون فيها ... وعندما أقول له: «إلى اللقاء في فينسيا»، تكون هذه إشارة مني لكم بالهجوم عليه ... فسوف يقف بعد هذه الجملة لينصرف.

نوسة: وهل نهجم عليه بأيدينا ونضربه؟! ... إنه أقوى منا، وسوف يكون من السهل عليه هزيمتنا.

تختخ: لن تشتركي أنت ولا «لوزة» في هذه المعركة ... ستقفان للمراقبة ... فإذا اقترب أي إنسان فعليكما تحذيرنا ... أمّا «محب» و«عاطف» فسوف يُمسكان بطرف الشبكة الموضوعة فوق البضائع هناك ... وعندما يقف «كلب البحر» فعليهما أن يُلقيا عليه الشبكة ... وعندما يرتبك نتيجةً للمفاجأة نهجم عليه لشد وثاقه، وتكميم فمه ... وقد جهّزت كل شيء هناك.

كانت الليلة الأخيرة على السفينة ليلةً صاخبة ... فقد أقام الربّان حفلاً للمسافرين ... وأخذت الموسيقى تصدح على السطح ... وبينما كان الركّاب جميعاً يرتدون أفخر ثيابهم لحضور الحفل ... كان «تختخ» والأصدقاء يضعون اللمسات الأخيرة في خطة الإيقاع بـ «كلب البحر».

وجلس الأصدقاء صامتين ... ينظرون في ساعاتهم ... لقد كانوا بعيدين عن الوطن، وليس لهم مُعين ... مُقبلين على صراعٍ مخيفٍ مع رجلٍ رهيب ... وكان صوت الموسيقى، وضجيج المحرّكات والركّاب يصل إليهم ... حيث يجلسون ... ولكنهم كانوا يُفكّرون في شيءٍ واحد ... معركتهم المقبلة.

وقرب منتصف الليل تحرّك المغامرون الخمسة صاعدين إلى سطح السفينة، وكان الحفل مُقاماً على السطح الخلفي للسفينة ... وكان موعدهم على السطح الأمامي عند المقدمة، حيث اعتاد «كلب البحر» الالتقاء بـ «تختخ».

وعندما أصبحوا قريبين من السطح، انفصلت «لوزة» و«نوسة»، فوقفت الأولى في الممر الأيمن للسفينة ... ووقفت الثانية في الممر الأيسر ... وأخذتا تتظاهران بالنظر إلى البحر. وتقدّم «محب» و«عاطف» إلى حيث أشار «تختخ» في محاذاة صناديق البضائع الضخمة، بجوار الشبكة الكبيرة، أمّا «تختخ» فقد انسحب عائداً في انتظار حضور «كلب البحر».

في منتصف الليل تماماً سمع الأصدقاء صوت خطواتٍ خفيفة كخطوات القط ... وشاهدوا على الضوء الخفيف شبحاً ضخماً لرجل يتقدّم في الظلام، ثم انزوى بجوار الصناديق ... ولم تمض لحظات حتى ظهر «تختخ»، ووقف في مكانه المعتاد، وسمع «كلب البحر» يقول له: هذه آخر ليلة على السفينة ... ولن أراك بعد ذلك ... إلا في «فينيسيا».

قال «تختخ» بصوتٍ هادئٍ كأنه لا يعرف شيئاً، ولا يشك في شيء: إننا لم نتقدّم كثيراً في العثور على «كلب البحر»، وكنت أودُّ أن أساعدك في القبض عليه.

سمع «تختخ» كما سمع «محب» و«عاطف» ضحكة «كلب البحر» الساخرة في الظلام، وهو يقول: إن حكاية «كلب البحر» حكاية معقّدة ... وصعبة ... وحافلة بالمخاطر ... وعندما تُقابل المفتش «سامي» قل له أن يبحث عن «كلب بحر» آخر.

ادّعى «تختخ» أنه لم يفهم شيئاً، وقال: لا أفهم ماذا تقصد!

ردّ «كلب البحر»: ليس من المهم أن تفهم الآن، وكما وعدتك ستكون هناك مفاجأة في انتظارك عندما تصل إلى «فينيسيا». المهم الآن أنني سأسلّمك الطرد الذي يجب أن تُحافظ

عليه جيداً ... ثم تذهب إلى كوبري «الريالتو» ... وهو أقدم كوبري في «فينسيا»، وبجواره تماماً على الضفة اليسرى محل «جراتسي» لبيع أدوات الصيد، أسأل عن «ماريو»، وأعطه الطرد، وقل له كلمة «كابيللو نبرو»، وسوف يُعطيك مكافأة طيبة.

قال «تختخ»: إنها أسماء كثيرة، ولا أظنني سأحفظها كلها. ضحك «كلب البحر» قائلاً: كنتُ أعلم هذا؛ فكتبت لك ورقةً ملصقةً على الطرد، بها كل الأسماء والعناوين.

تختخ: لا شيء آخر؟

كلب البحر: لا شيء آخر.

جاءت اللحظة الحاسمة ووقف «تختخ» قائلاً: إلى اللقاء في «فينسيا».

وقبل أن يرد «كلب البحر» كان «تختخ» قد تظاهر بالانصراف، فوقف «كلب البحر» لينصرف هو الآخر، وفي هذه اللحظة انقضَّ «محب» و«عاطف» وهما يسحبان طرف الشبكة الثقيلة ثم ألقياها عليها ... كانت المفاجأة كاملةً لـ «كلب البحر» فشلت حركته، وفي اللحظة نفسها كان الأصدقاء الثلاثة يقفزون عليه كالشياطين، ويُحيطونه بالشبكة الثقيلة، وتحت ضغط الشبكة والأصدقاء الثلاثة سقط «كلب البحر» على ظهر السفينة بشدة، وارتطم رأسه بصندوق صدمة عنيفة، فتمدد على الأرض ساكناً كالجثة الهامدة.

قال «عاطف»: يبدو أنه قد مات!

مال «تختخ» على صدر «كلب البحر»، وأخذ يستمع، فوجد قلبه يدق. فقال: إنه حي ... ولحسن الحظ أنه أُغمي عليه وإلا كانت معركة عنيفة ... هيّا نربطه، ونُكِّم فمه!

وأخذ الأصدقاء يعملون بسرعة ... وبينما هم منهمكون في عملهم إذا بـ «لوزة» تحضر مسرعةً قائلة: هناك ناس يقتربون!

قال «محب»: هيا لنواريه خلف هذا الصندوق بسرعة ... وليذهب «عاطف» مع «لوزة» لإبعاد القادمين عن مكانه بأي طريقة.

أسرع «عاطف» و«لوزة» في حين جلس «تختخ» و«محب» في الظلام، وقد تسارعت أنفاسهما، خوفاً من حدوث أي شيء يُفسد الخطة.

وبعد قليل ظهر رجل وزوجته يسيران ويتحدثان، ومراً بجوار «تختخ» و«محب» اللذين حبسا أنفاسهما؛ حتى لا يسمعهما أحد ... ولحسن الحظ سمعا الرجل يقول لزوجته: تعالي نذهب إلى الحفلة ... فإنني أريد أن أشرب شيئاً.

وانصرفا ... وسرعان ما انضمت «لوزة» و«عاطف» إلى «محب» و«تختخ»، وقاموا جميعاً بربط «كلب البحر» وتكميمه جيداً ... ثم ألقوا عليه الشبكة حتى أخفوه تماماً ... ثم أسرعوا إلى «نوسة»، وذهبوا جميعاً إلى الحفل كأن لم يحدث شيء على الإطلاق.

ظلّ «تختخ» و«محب» يقظين طول الليل، وهما يتسمعان في انتظار أن يحدث شيء ... ولكن الليل انقضى في هدوء ... وما كاد أول خيط من الضوء يظهر حتى صعد «تختخ» إلى ظهر السفينة، واطمأن على وجود «كلب البحر» مكانه ... وكانت السفينة تقترب من «فينسيا» فانضمّ الأصدقاء إلى «تختخ» وأخذوا يتحدثون ... كان أهم سؤال يشغلهم هو: هل حضر المفتش «سامي»؟

وفجأة سمعوا صوت صياح على مقدمة السفينة ... وأخذ رجالٌ يجرون، فأدرك الأصدقاء أن بعض البحّارة قد اكتشفوا وجود «كلب البحر»، وبدأ كل شيء كأنه سينتهي بكارثة ... فلم يكن المفتش «سامي» قد ظهر على الرصيف بعد. قالت «نوسة» في صوت حزين: ماذا نفعل الآن؟!

وفي هذه اللحظة الحاسمة سمعوا أحب صوت يمكن أن يسمعه على الإطلاق ... صوت المفتش «سامي» يرد: ماذا تفعلون في أي شيء؟!

وارتمت «لوزة» على صدر المفتش الذي قال: ماذا هناك؟! لماذا أرسلتم في استدعائي؟! قال «تختخ»: كيف حضرت؟ إننا لم نرك على الرصيف!

ردّ المفتش: لقد ركبتُ قارباً لأصل إليكم على ظهر السفينة ومعني بعض رجال الشرطة الإيطاليين ... فقد كنت في غاية القلق.

وبسرعة روى «تختخ» للمفتش «سامي» ما حدث ... وأسرعوا جميعاً ومعهم رجال الشرطة الإيطاليون إلى مقدمة السفينة، وكان البحّارة يفكون وثاق «كلب البحر» الذي لم يكد يرى رجال الشرطة حتى حاول القفز إلى البحر ... ولكنهم أطبقوا عليه بعد إشارة من المفتش «سامي» ...

بينما كان الناس على ظهر السفينة وفي الميناء لا حديث لهم إلا القبض على المهرّب الخطير ... كان المفتش «سامي» و«تختخ» وبعض رجال الشرطة الإيطاليين قد نزلوا إلى بطن السفينة حيث وجدوا المفتش «باولو» أسيراً موثقاً في قُمرة «كلب البحر».

ولم يُصدّق «باولو» ما رواه له زملاؤه، وأخذ ينظر إلى «تختخ» في إعجاب، ثم مدّ يده له مهنيّاً.

وعلى رصيف الميناء وقف المفتش يُودّع الأصدقاء، وكانت معه البارونة «شيليا» التي أصرّت على دعوة الأصدقاء للنزول في قصرها الكبير.
وبينما كان «باولو» يهم بالانصراف قال لـ «تختخ»: خذوا حذرکم ... إن عصابة «كلب البحر» لا بد ستنتقم.

ماذا يحدث في «فينسيا» بعد إلقاء القبض على «كلب البحر»؟ وبعد أن نشرت الجرائد الإيطالية قصة القبض عليه كاملة؟
هل تنتقم عصابة «كلب البحر»؟
إن هذا هو موضوع اللغز القادم ... لغز المدينة العائمة!

